النبوة

في بعدها الحضاري

تأليف

غازي التوبة

الناشر

دار النور

حقوق الطبع محفوظة
للناشر

الطبعة الأولى

١٩٧٣

الاهداء

الى مجتمع الصحابة

ماضياً ومستقبلاً

اهدي هـذا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

يجد المتتبع لسير مجتمع العرب منذ مائة سنة أو تزيد أنه ينتقل من هزيمة إلى هزيمة ، ومن اندحار إلى اندحار ، ومن حفرة إلى أخرى .

فهو قد ثار على الأتراك العثمانيين باسم القومية العربية ، ظاناً أن أساس البلاء هم الأتراك ، فابتلي بمن هو أنكى وأدهى من الأتراك ابتلي بالمستعمرين الانكليز والفرنسيين .

ثم ثار على المستعمرين الانكليز والفرنسيين وقدّم الضحايا والشهداء ، وتخلى الانكليز والفرنسيون ظاهراً عن دورهم في المنطقة ، وأعطوا دولها الاستقلال ،فإذا بهم يتركون البلاد لعدو أخطر هو اليهود .

ثم قارع مجتمع العرب اليهود ثلاث مرات في عام ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ وانهزم أمامهم .

إن هذه الهزائم المتتالية ، والتخبط يلفت النظر ويستدعي الوقوف وبخاصة الهزيمة الأخيرة في ١٩٦٧ حيث كانت كبيرة في كل شيء : في حجم الأراضي التي سلبت ، في الزمن القصير

الذي تمت به ، في هول الصدمة التي وجهته حتى أفقدته توازنه .

إن هذه الهزائم المتتالية تتطلب التفكير كل التفكير ، والتمعن كل التمعن لأنه الموضوع الأهم في حياتنا ، والأكثر تأثيراً علينا .

إن هزائمه المتتالية تتطلب منا أن نقف أمامها بشجاعة . نتفحصها ، ونحدد مواطن الداء ، ونقترح العلاج .

كل ذلك بعزم الرجال ، وإيمان الشهداء .

* * *

فلقد تعددت الآراء حول النكسة الأخيرة ، واختلف الكتّاب في تحديد أسبابها .

فذكر بعضهم أن سبب النكسة هو تخلفنا التكنولوجي .

وذكر آخرون أن سببها المد اليساري الموجود في المنطقة .

وحدد آخرون سبباً هو الدين .

وألصق بعضهم التهمة بالوجود التقليدي .

وبين غيرهم أن انعدام مؤسسات البحث العلمي هو السبب الأساسي في النكسة .

ومزج بعضهم بين سببين أو أكثر من الأسباب السابقة .

وقد اختلفت الآراء - أيضاً - حول سبيل انتصارنا على إسرائيل ، وحول كيفية خروجنا من هذه الأزمة ، اختلفت تبعاً لما حددته من أسباب للنكسة .

فقد تحدث بعضهم عن عوامل انتصارنا على إسرائيل وحددها بأنها إما قوتنا التكنولوجية .

وإما زوال الوجود التقليدي .

وإما إنحسار المد اليساري في المنطقة .

وإما استكمال مؤسسات البحث العلمي .

وإما توحيد الجيوش العربية .

وإما إنشاء تضامن إسلامي .

وإما العودة إلى الدين إلخ .....

وقبل أن نناقش الآراء السابقة : صحتها أو خطأها ، صوابها أو خطلها ، وقبل أن نبدي رأينا في السبب الحقيقي للنكسة ، والطريق المؤدي للانتصار ، سنتبين : كيف وقعت النكسة ؟ وما هي الأحداث السياسية التي سبقتها وأدت إليها وما الدروس التي يمكن أن نستفيدها لمستقبل أيامنا ؟

فضروري أن يتضمن أي كتاب يتحدث عن النكسة وجهة نظره في الوقائع السياسية التي أدت إلى النكسة وأوصلت إليها.

وللأسف لم تصدر بيانات توضيحية عن الدول العربية التي سبقتها ، وعن حقيقة مواقف الدول الكبرى .

بل بقيت روايات النكسة تعتمد على ألفاظ عامة دون تحديد لمراحلها ، وعلى اتهامات وإدانات للقوى الاستعمارية واليهودية دون ذكر الحقائق الموضوعية .

وبالعكس فإنه ظهر تناقض في الروايات التي تحدثت عن النكسة عند بعض الدول .

وظهر تراجع عن روايات أخرى في زمان تال .

وقع كل ذلك، علماً بأن ذكر مقدمات الحرب ، ومراحلها، ونتائجها أمر ضروري لأمتنا ، بل وحيوي .

وطالما أن الامة تدفع ثمن المعارك من دمائها وأموالها ، فمن حقها أن تطلع بشكل كامل على تفاصيل الحرب وملابساتها .

هذا حق للأمة ، وواجب على قياداتها .
لكن ذلك لم يحدث للأسف .

فبقي ـ إذن ـ من حقنا أن نستعمل عقلنا ، ونجتهد في ربط الأمور ببعضها حتى نصل إلى الرواية التي نرجحها ، وتطمئن إليها قلوبنا .

* * *

كيف وقعت النكسة ؟

تحدث الكاتب محمد مصطفى رمضان في كتابه (الشعوبية الجديدة) عن أحداث الأسبوع الأول من حزيران ، ونحن نعتقد أن ما كتبه هو السرد الصحيح لأحداثه ، وقد ضمّن هذا السرد تحديداً لمواقف الدول ، وتفسيراً لها .

ونحن سننقل كلامه عن هذا الاسبوع مع تلطيف لبعض العبارات التي لا تخل بالمعنى .

قال محمد مصطفى رمضان في كتابه « الشعوبية الجديدة »[1]:
(أما أحداث الأسبوع الأول من يونيه (حزيران) عام ١٩٦٧ التي يريد لها الثوريون الاشتراكيون أن تكون حرباً فلم تكن إلا مرحلة من مراحل الصد والهجران في قصة الغرام المعروفة بين أمريكا وعبد الناصر .

---

(١) ص ٢٤٢ ـ ٢٥٣

وقد بدأت مرحلة الصد والهجر تلك مع بداية عام ١٩٦٦ حين تقدم عبد الناصر في فبراير (شباط) من ذلك العام بطلب إلى أمريكا لتجدد له اتفاقية للقمح عقدت في نهاية عام ١٩٦٥ لتغطي المدة الواقعة بين يناير (كانون الثاني) ويونيه (حزيران) من عام ١٩٦٦ ، وهي الاتفاقية التي جاءت بعد اتفاقية كنيدي الشهيرة ذات السنوات الثلاث .

وقد حدد عبد الناصر كمية القمح في طلبه بما يعادل مائة وخمسين مليون دولار من العملة المصرية فلم تجب أمريكا بنعم أو لا حتى الآن (نوفمبر ١٩٦٩) ؟

* * *

وكانت تتردد وقتها أقوال بين المراقبين السياسيين مفادها أن أمريكا تفكر جدياً في الاستغناء عن خدمات عبد الناصر وأنها تعد العدة لاستبداله برجل آخر كي تحول دون وقوع الانفجار الوشيك ، وحتى لا ينهار النظام كله فجأة فتجد أمريكا نفسها أمام جهاز من الحكم جديد لا تعرف عنه شيئاً ، أو قد تعرف عنه الكثير ولكنها لا تطمئن إليه ، وقد تقلب خططها في المنطقة رأساً على عقب . وقيل وقتها أيضاً إن انشغال أمريكا الكلي في فيتنام هو الذي يجعلها ترجيء إسناد الدور الرئيسي في مسرحية الحكم المصري إلى بطل آخر .

* * *

● حاول عبد الناصر جاهداً أن يحرك طلبه لدى وزارة الخارجية الأمريكيه بواسطة سفيره في واشنطن تارة ، أو بواسطة شخصيات حكومية بارزة كان يرسلها بين الحين والحين فلم يفلح .

● في الرابع والعشرين من فبراير (شباط) عام ١٩٦٧ شرع محمد حسنين هيكل في نشر سلسلة من مقالات « بصراحة » في ملحق الأهرام تحت عنوان (نحن وأمريكا) انصب حميمها على سرد فصول منتقاة من قصة العلاقات الأمريكية منذ عام ١٩٥٢ ، وكانت في مضمونها العام تنديداً بالسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط .

● وفي يوم ١٧ مارس (آذار) أعلن هيكل في المقال الرابع من هذه السلسلة أن الرئيس جمال عبد الناصر سحب طلب القمح أثناء اجتماع له بالمستر لوشيوس باتل السفير الأمريكي في القاهرة ، الذي نقل بعد ذلك إلى قسم الشرق الأوسط بوزارة الخارجية .

● وقد نقلت وكالة رويتر الانكليزية للأنباء في نفس اليوم عن مسؤولين أمريكيين في واشنطن قولهم إن الرئيس عبد الناصر لم يسحب طلباً قدمته مصر منذ سنة للحصول على قمح أمريكي .

● توالت بعد ذلك مقالات هيكل الإحدى عشر ، وهي تحفل كل اسبوع بألوان من التشهير والتجريح ، ولكن أمريكا آثرت ألا تحرك ساكناً ، وتركت صوت سيده يعرّضُ بها ما

شاء له سيدُهُ أن يعرّض .

● في يوم ٢٦ ابريل « نيسان » وبعد شهرين من بدء نشر السلسلة ، أصدر عبدالله السلال ـ عامـــل الرئيس على اليمن ـ بياناً اتهم فيه موظفي النقطة الرابعة «الأمريكية بإطلاق مدافع البازوكا من معسكر تابع لهم في كفر على مستودعات ذخـيرة الجيش اليمني في محاولة لنسف المدينـــة ، وحيث أن الأمر هو كذلك فقد تقرر طرد بقية بعثة المعونة الأمريكية من اليمن ، وتقديم الموظفين المتهمين إلى المحاكمة ، ومع ذلك بقيت واشنطن لا تحرك ساكناً ، وتلقت طرد بعثتها بهدوء تام .

هنا أيقن عبد الناصر أنه يجب أن يقدم على عمل ما كي يثبت لصانعي السياسة الأمريكية أنه قادر على الإضرار بمصالـــح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط ، فيسارعون عندئـــذ إلى إجابة طلبه معتذرين له عما بدر منهم من سوء أدب .

* * *

قبل ذلك بعدة أشهر ، أي منذ أواخر عام ١٩٦٦ كانت إذاعات تونس وعمان وجدة تتساءل بسخرية عن فائدة وجـود قوات الطوارىء الدولية على الحدود المصرية الإسرائيليـــة [١]

(١) أشار راندولف وونستون تشرشل إلى هذه النقطة في ص ٢٨ من حرب الايام الستة .

وتطالب ـ في تعليقات عنيفـة ـ بسحبها فوراً من غزة وشرم الشيخ حتى لا تقف في طريق الجيش المصري لتحرير فلسطين ، وحتى لا تصبح المقاطعة العربية لإسرائيل غير ذات جـــدوى بالتجارة الإسرائيلية الضخمة مـــع الأقطار الأفريقية الحديثة الاستقلال عبر مضائق تيران .

عن هذا الموضوع قال شمس الدين بدران وزير الحربية السابق في مصر أمام محكمة الثورة يوم السبت في الرابع والعشرين من فبراير (شباط) ١٩٦٨ : (أنا بأقول إن رحلة الباكستان كان فيها أول تفكير في عملية شرم الشيخ ... المشير « عبد الحكيم عامر » راح الباكستان وأنا رحت معاه ، وكان معانا صلاح نصر « مدير المخابرات » وكل الوفد . وكان مجلس الدفاع في الجامعة العربية يجتمع في مصر عقب مؤتمر القمة ، وكل الدول العربية مثل الأردن والسعودية كانت مركزة في إذاعتهـا إن البوليس الدولي « قوة الطوارىء الدوليه » محطوط ليحمينا ... والمشير جاءت له فكرة أن تأخذ خطوة لمنع الحملة للناس اللي بيهاجمونا فقال نرسل إشارة للرئيس ونوضح له الرأي بأن نسحب القوات الدولية ونحتل شرم الشيخ ، وأرسلت للرئيس هذه الإشارة ... ولم يرد الرئيس .. ويمكن لم يقتنع لأنه سيؤثر في سمعتنـا في الخارج) [١] .

(١) الجمهورية القاهرية عدد ٢٥ شباط ١٩٦٨ .

وقد اشتد هجوم الإذاعات الثلاث فيما يختص بقوات الطوارىء بعد المعركة الجوية التي وقعت بين الطيران الإسرائيلي والسوري يوم السابع من ابريل « نيسان » ١٩٦٧ والتي حلقت فيها الطائرات الإسرائيلية فوق دمشق لأول مرة منذ حرب ٤٨ ، أسقط فيها اليهود ست طائرات ميج سورية دفعة واحدة .

بل وتطرقت إذاعات تونس والسعودية والأردن إلى اتفاقية الدفاع المشترك المقصودة بين مصر وسوريا ، ونددت بعدم تنفيذ مصر لبنودها حين لم يؤمر الطيران المصري بنجدة السوريين .

* * *

في منتصف مايو « أيار » أعلن مسؤولون اسرائيليون أثناء احتفالات اليهود بإنشاء دولتهم أن الواجب يحتم تدمير قواعد الفدائيين في سورية ، والقيام بعمل ما للقضاء على المدفعية السورية المتمركزة في مرتفعات الجولان .

تحت تأثير كل هذه الضغوط والأحداث المحرجة انتهز جمال عبد الناصر فرصة التهديدات الاسرائيلية وأمر الفريق محمد فوزي قائد الجيش بأن يطلب سحب قوات الطوارىء من الجنرال (ريكي) قائدها العام . ففعل عند الساعة العاشرة بتوقيت جرينتش من مساء (١٦) مايو آيار ، ولكنه لم يشر في برقيته إلى شرم الشيخ ، وقالت إذاعات القاهرة في اليوم التالي إنه

- أي الفريق فوزي - طلب من ريكي أن يسحب قواته من الحدود ويجمعها في قطاع غزه .

أرسل « أوثانت » إلى محمد عوض القوني مندوب مصر في الأمم المتحدة يخبره بطريقة غير رسمية - أنه من المستحيل تحقق سحب جزئي لقوات الطوارىء - لأن الأمم المتحدة لا تستطيع أن تقف جانباً كي تجعل بإمكان الطرفين استئناف القتال ، وأن على مصر أن تطلب انسحاباً كاملاً ، أو تترك القوات وشأنها !!

بعد ذلك باثنين وأربعين ساعة ، طلبت مصر سحب القوات كلها ، ولكن إغلاق الخليج في وجه إسرائيل لم يأت إلا حين مضت أربعة أيام « وقال عبد الناصر يومها : إذا هددتنا اسرائيل بالحرب فإن جوابنا هو : فلتمضي قدماً إذن .

ومن الواضح حتى فترات التوقف هذه ، التي كانت تفصل بين خطوات عبد الناصر ، هي فترات تعتبر في مثل تلك الظروف الدقيقة فترات طويلة ، إنما كانت ضرورية - من وجهة نظر عبد الناصر - لمعرفة رد فعل أمريكا ... وهو بيت القصيد في الموضوع كله .

فبعد طلب سحب قوات الطوارىء - دون الإشارة إلى شرم الشيخ - انتظر أكثر من ست وثلاثين ساعة قبل أن يرد على أوثانت بسحب القوات جميعها .

وبعد طلب سحب القوات رسمياً انتظر أكثر من أربعة أيام كاملة قبل أن يغلق خليج العقبة ، مع أن حكومته أمرت قوة الأمم المتحدة المرابطة في شرم الشيخ بالانسحاب عند ظهر يوم الثامن عشر من مايو « أيار » قبل تقديم طلب السحب الكامل بثلاث أو أربع ساعات .

والمتتبع لتصريحات عبد الناصر وخطبه في تلك المدة يلمس كثرة إشاراته إلى أمريكا ... حتى لكأن المعركة ليست بينه وبين إسرائيل .

ومن الواضح أيضاً أنه كان يقدر أن « أوثانت » لن يستجيب لطلب سحب القوات ويميل الأمر إلى الجمعية العامة أو مجلس الأمن ، فيكون لدى عبد الناصر متسع من الوقت للمساومة والتخويف دون أن يضطر إلى غلق المضائق ، ويقطع عن نفسه بذلك طريق العودة [1] .

ولكن أوثانت خيب أمله وأوقعه في شر من ورائه .

وهكذا أصبح عبد الناصر عاجزاً عن الحركة ، فالحرب مع اسرائيل ليست من خططه ، وإعادة فتح الخليج معناها انهيار مكانه كزعيم « للأمة العربية الخالدة » .

---

(١) أشار إلى هذه النقطة إشارة عابرة « راندولف ورنستون » في ص ٣٧ من حرب الأيام الستة .

وقد تحركت أمريكا أخيراً ... ولكن لا لترضيه فتعطيه القمح الذي يريد ، بل لتقول له إن الخليج ممر بحري دولي ، وأن إغلاقه هو تحدٍ للقانون الدولي .

وهنا وضح أن اليهودية العالمية — من خلال أمريكا — قررت قطف الثمرة بعد أن أينعت النبتة واخضرت .

* * *

ما الذي نستنتجه من الرواية السابقة لأحداث حزيران ؟ وما الدروس التي يمكن أن نستفيدها ؟

الدرس الأول الذي نستفيده من الرواية السابقة هو خطأ الاعتماد على القوى الخارجية أو ضرر التعاون معها في أي مرحلة من مراحل العمل السياسي أو مهما كانت المبررات التي تقدم لمثل هذا التعاون .

ففي حادثتنا التي ندرسها اعتمد عبد الناصر في وصوله إلى الحكم على أمريكا التي خططت له الأمر ، وحددت له أهداف الانقلاب ، وقدمت له المستشارين في المجالات العسكرية والسياسية ، ووجهت خطاه في الداخل والخارج ، وأمدته

بالقروض والمعونات الغذائية .[1]

ثم قطعت أمريكا هذه المعونات فاضطر عبد الناصر نتيجة حاجته وارتباطاته السابقة أن يرد على هذه التصرفات ، فأوقعته أمريكا في حرب مع إسرائيل .

فالنكسة التي أصابت الأمة ناتجة ـ إذن ـ من تطورات علاقة عبد الناصر بأمريكا .

إن تجربتنا التاريخية في الاعتماد على القوى الخارجية مؤلمة ، ولكننا ـ للأسف ـ لم نستفد منها الاستفادة الحقة ، وأبرزها اعتماد الزعامة الهاشمية في مطلع القرن العشرين على الانكليز في مواجهة الحكم العثماني .

وفي النهاية لم تكن الزعامة الهاشمية إلا أداة لتنفيذ مخططات الانكليز في المنطقة ، وقد دفعت الشعوب العربية ثمن هذه المخططات من أبنائها ودمائها وأراضيها .

٢ ـ الدرس الثاني الذي نستفيده من الرواية السابقة هي أن سياسة عبد الناصر في حالة صدامه مع أمريكا كانت ردود فعل واستجابات أرادتها أمريكا ، وأوصلته إليها بأفعال معينة .

---

(١) لدراسة تفاصيل انقلاب عبد الناصر في خطته وأهدافه ودور أمريكا فيه يمكن الاعتماد على كتابي لعبة (الشعوب) لمايلز كوبلاند (الدبلوماسية والميكافيلية) لمحمد صادق .

ولم تتبع أمريكا هذه الطريقة في توجيه أحداث الحرب الأخيرة فقط ، ولكنها اتبعتها في توجيه المنطقة خلال الفترة الماضية كلها ، فقد ذكر مايلز كوبلاند في كتابه (لعبة الأمم) أن أمريكا سحبت عرضها لتمويل السد العالي من أجل أن يصل عبد الناصر إلى تأميم قناة السويس ، وقد كان تعليقه (أي كوبلاند) على تأميم عبد الناصر لقناة السويس في تموز ١٩٥٦ ، أنه (أي كوبلاند) أمها منذ فترة طويلة ، حيث كان يلعب دور عبد الناصر في (لعبة الأمم) .

والسؤال الآن : لماذا أوقعت أمريكا العرب في هذه النكسة؟

الجواب : لأنها تعتقد أن الجو مناسب لحل النزاع العربي ـ الإسرائيلي .

فهي قد امتصت العواطف العربية التي كانت ملتهبة في المنطقة ، أومتأثرة من هزيمتها في ١٩٤٨ بانقلاب عبد الناصر ، وحالت دون أن تنصب في تنظيم معين ، ثم أوقعتها في هزيمة نكراء جعلتها تستسلم لليأس ، وتقبل ما كانت ترفضه بالأمس وترضى بالتفاهم مع إسرائيل .

* * *

دور الروس في النكسة

واستكمالاً لصورة الأيام السابقة للحرب لا بد من أن نعرج على موقف الروس ، فقد تحدث رودولف وونستون تشرشل عنه في كتابه حرب الأيام الستة فقال : [1] « بدأ كل شيء بكذبة ... ولكن الكذبة كانت هذه المرة روسية .. فقد أبلغت روسيا القاهرة في بداية شهر أيار ان الإسرائيليين يحشدون جيوشهم على الجبهة السورية .. وبعد اسبوعين تلقت القاهرة معلومات تفيد أن الجيش الاسرائيلي حشد احدى عشر فرقة في تلك المنطقة .. ولكن في الحقيقة لم يكن هناك سوى فرقة واحدة تتألف من ١٢٠ رجلاً تنحصر مهمتهم بمراقبة المتسللين من الحدود السورية . وفي ١٩ أيار أفاد مراقبو الأمم المتحدة المقيمين على طول الجبهة أنه ليس هناك ما يؤكد وجود مثل

(١) ص ٢٤ من الترجمة العربية « محمد حسين الراوي » .

هذه التحركات ...[1]

كانت روسيا تهدف إلى توريط عبد الناصر في الحرب بعد أن أوهمته بأن إسرائيل تحشد قواها على الجبهة السورية وأن هذه الأخيرة باتت مهددة بالاحتلال بين يوم وآخر ... وتوخت من ذلك أن تعود اسرائيل وتتراجع عن نواياها .. ولكن في الحقيقة ، جاءت كل هذه التوهمات عارية من الصحة ولا تستند إلى الواقع على الاطلاق .

وفي يوم ٩ حزيران قدم عبد الناصر استقالته ووجه خطاباً إلى شعبه قال فيه « كان واضحاً يوم خمسة عشر ايار ان تصاريح العدو على لسان سياسييه وقواده الحربيين ، أن إسرائيل تنوي اجتياح سوريا .. وقد أكد اخواننا السوريون ذلك كما أن أصدقاؤنا السوفيات اعلموا اللجنة البرلمانية التي زارت الاتحاد السوفياتي في أوائل الشهر الماضي ، ان هناك نوايا عدوانية مسبقة لمهاجمة سوريا .. وكان من واجبنا ، ازاء ذلك ، ألا نقف مكتوفي الأيدي .. »

* * *

تحدث اسحق دوتيشر عن دور الروس في الأيام السابقة

(١) راجع تقرير الأمين العام للامم المتحدة المقدم إلى مجلس الأمن في ١٩ أيار ١٩٦٧ حيث يقول : ـ اكدت التقارير الواردة من مراقبينا انه لا وجود لحشود وتحركات هامة على جانبي خط الهدنة) .

عن المعركة في حديث أدلى به إلى مجلة (نيوليفت ريفيو » في ٢٣ حزيران فقال : (هل خططت إسرائيل حقاً لمهاجمة سوريا ذات حين في شهر مايو ، كما اعتقدت المخابرات السوفيتية ، وكما حذرت موسكو عبد الناصر ؟ لا نعرف . ولقد كان نتيجة لهذا التحذير ، وبتشجيع سوفيتي ، ان أمر عبد الناصر بالتعبئة وبحشد القوات على حدود سيناء ، ولو ان اسرائيل كان لديها مثل هذه الخطة ، لأجلت حركة عبد الناصر الهجوم على سوريا بضعة أسابيع ولو أن اسرائيل لم تكن لديها مثل هذه الخطة ، فإن سلوكها اضفى على تهديداتها ضد سوريا نفس القيمة التي كانت للتهديدات العربية في نظر اسرائيل . وعلى كل حال ، كان حكام إسرائيل واثقين تماماً من ان عدوانيتهم ـ على العكس من عدوانية سوريا أو مصر ـ ستلقى عطفاً غربياً ، وسينالون عنها الثواب » [1]

ثم تحدث دويتشر عن دور الروس في منع عبد الناصر من الهجوم على إسرائيل ، وفي تفاهمهم مع أمريكا حول ذلك فقال :

« يمثل السلوك العربي ، خصوصاً عقل عبد الناصر الموزع وتردده عشية الحرب ، نقيضاً صارخاً لتصميم إسرائيل وعدوانيتها التي لا تكبح . فبعد ان قام عبد الناصر ، بتشجيع سوفيتي ،

---

(١) دراسات في المسألة اليهودية . اسحق دويتشر (ص ١٣٠).

بنقل قواته إلى حدود سيناء ، بل ووضع صواريخه الروسية الصنع في حالة استعداد ، قام بدون استشارة موسكو ، باعلان إغلاق مضائق تيران ، وهي حركة استفزازية ، رغم أنها عملياً ذات مغزى محدود جداً ، ولم تعتبرها الدول الغربية من الأهمية بحيث تحاول ان « تختبر » الحصار . ولقد أمدت عبد الناصر بكسب أدبي ، ومكنته من أن يدعي انه انتزع من إسرائيل آخر ثمار انتصارها في ١٩٥٦ . (قبل حرب السويس لم تكن السفن الإسرائيلية تستطيع عبور تلك المضائق . وصورت إسرائيل الإغلاق على انه خطر مميت على انتصارها ، بينما لم يكن كذلك ، وردت بتعبئة قواتها والتحرك إلى الحدود .

واصلت الدعاية السوفيتية تشجيعها للعرب علناً ، وعلى كل فقد انعقد مؤتمر للأحزاب الشيوعية في الشرق الأوسط في مايو (لخصت قراراته في البرافدا) وكان متحفظاً تحفظاً غريباً بشأن الأزمة ، ونقدت عبد الناصر تلميحاً ، لكن المناورات الدبلوماسية خلف الكواليس كانت أكثر أهمية . ففي ٢٦ مايو ، في هدأة الليل (في منتصف الساعة الثالثة صباحاً) . ايقظ السفير السوفيتي عبد الناصر ، ليحذره تحذيراً جدياً من أن الجيش المصري يجب الا يكون البادىء باطلاق النار . واهتثل عبد الناصر ، وكان الامتثال تاماً إلى حد أنه عزف عن بدء الحرب بل إنه لم تتخذ أي احتياطات لمواجهة احتمال هجوم اسرائيلي ، فتركت المطارات بغير دفاع والطائرات على الأرض بلا تمويه ،

بل ولم يجر الاهتمام بلغم مضائق تيران ، او وضع عدة مدافع على شواطئها (كما اكتشف الاسرائيليون ذلك ـ لدهشتهم ـ عندما وصلوا هناك) .

كل ذلك يوحي بعمل غير متقن من جانب عبد الناصر ومن جانب القيادة المصرية ، لكن أقطاب الكرملين كانوا هم العمال غير البارعين حقيقة ، أن سلوك بريجنيف وكوسيجين كان خلال هذه الأحداث مماثلاً لسلوك خروشوف اثناء الازمة الكوبية ، بل أنه أشد في تشوشه الذهني . كان الطراز هو نفس الطراز ، ففي المرحلة الاولى ، كان هناك استفزاز للجانب الآخر ، دونما حاجة إليه ، وتحرك احمق نحو « الحافة » وفي المرحلة الثالثة ، ذعر مفاجيء وتراجع متسرع ، ثم تبعت ذلك محاولات محمومة لإنقاذ الوجه وتغطية الآثار . فبعد أن أثار الروس مخاوف العرب ، ودفعوهم إلى تحركات خطرة ، ووعدوهم بالوقوف إلى جانبهم ، وبعد أن أرسلوا وحداتهم البحرية إلى البحر المتوسط لتواجه تحركات الاسطول السادس الأميركي ، قام الروس بتقييد عبد الناصر من اليدين والقدمين .

لماذا فعلوا ذلك ؟ بينما كان التوتر يتصاعد ، كان الخط الساخن بين الكرملين والبيت الأبيض يعمل . اتفقت الدولتان الكبيرتان على تجنب التدخل المباشر وعلى كبح جماح طرفي النزاع . وإذا كان الاميركيون قد قاموا بعملية كبح جماح

الاسرائيليين ، فلا بد انهم فعلوا ذلك بشكل روتيني ، أو بكثير من الإيماءات ، إلى حد اشعر الاسرائيليين ، حقيقة ، بالتشجيع على مواصلة خطتهم للضربة الاولى (لم نسمع ، على أي حال ان السفير الاميركي ايقظ ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل وحذره بأن على الإسرائيليين الا يكونوا البادئين باطلاق النار) بينما كان لجم السوفييت لعبد الناصر ثقيلاً ووقحاً ومؤثراً . ومع ذلك يظل عدم قيام عبدالناصر باتخاذ احتياطات عسكرية أولية أمراً محيراً . هل أخبر السفير السوفيتي عبد الناصر ، أثناء زيارته الليلية ، أن موسكو واثقة من أن الاسرائيليين لن يضربوا أولاً : هل أعطت واشنطن لموسكو مثل هذا التأكيد ، وهل كانت موسكو من السذاجة بحيث أخذت هذا التأكيد بقيمته الظاهرة ، وتصرفت بناء عليه : ان تفسيراً غير هذا التفسير للأحداث لا يمكن أن يفسر ركود عبدالناصر ، ودهشته وذهول موسكو لدى اندلاع القتال » (١)

* * *

ما الذي نستنتجه من الروايتين السابقتين : رواية تشرشل أو دويتشر نستنتج ما يلي :

١ ـ إن الروس هم الذين أوهموا عبد الناصر بأن هناك

(١) دراسات في المسألة اليهوديه . اسحق دويتشر (ص ١٣١-١٣٤).

بل ولم يجر الاهتمام بلغم مضائق تيران ، او وضع عدة مدافع على شواطئها (كما اكتشف الاسرائيليون ذلك ـ لدهشتهم ـ عندما وصلوا هناك) .

كل ذلك يوحي بعمل غير متقن من جانب عبد الناصر ومن جانب القيادة المصرية ، لكن أقطاب الكرملين كانوا هم العمال غير البارعين حقيقة ، أن سلوك بريجنيف وكوسيجين كان خلال هذه الأحداث مماثلاً لسلوك خروشوف اثناء الازمة الكوبية ، بل أنه أشد في تشوشه الذهني . كان الطراز هو نفس الطراز ، ففي المرحلة الاولى ، كان هناك استفزاز للجانب الآخر ، دونما حاجة إليه ، وتحرك احمق نحو « الحافة » وفي المرحلة الثالثة ، ذعر مفاجيء وتراجع متسرع ، ثم تبعت ذلك محاولات محمومة لإنقاذ الوجه وتغطية الآثار . فبعد أن أثار الروس مخاوف العرب ، ودفعوهم إلى تحركات خطرة ، ووعدوهم بالوقوف إلى جانبهم ، وبعد أن أرسلوا وحداتهم البحرية إلى البحر المتوسط لتواجه تحركات الاسطول السادس الأميركي ، قام الروس بتقييد عبد الناصر من اليدين والقدمين .

لماذا فعلوا ذلك ؟ بينما كان التوتر يتصاعد ، كان الخط الساخن بين الكرملين والبيت الأبيض يعمل . اتفقت الدولتان الكبيرتان على تجنب التدخل المباشر وعلى كبح جماح طرفي النزاع . وإذا كان الاميركيون قد قاموا بعملية كبح جماح

الاسرائيليين ، فلا بد انهم فعلوا ذلك بشكل روتيني ، أو بكثير من الإيماءات ، إلى حد اشعر الاسرائيليين ، حقيقة ، بالتشجيع على مواصلة خطتهم للضربة الاولى (لم نسمع ، على أي حال ان السفير الاميركي ايقظ ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل وحذره بأن على الإسرائيليين الا يكونوا البادئين باطلاق النار) بينما كان لجم السوفييت لعبد الناصر ثقيلاً ووقحاً ومؤثراً . ومع ذلك يظل عدم قيام عبدالناصر باتخاذ احتياطات عسكرية أولية أمراً محيراً . هل أخبر السفير السوفيتي عبد الناصر ، أثناء زيارته الليلية ، أن موسكو واثقة من أن الاسرائيليين لن يضربوا أولاً : هل أعطت واشنطن لموسكو مثل هذا التأكيد ، وهل كانت موسكو من السذاجة بحيث أخذت هذا التأكيد بقيمته الظاهرة ، وتصرفت بناء عليه : ان تفسيراً غير هذا التفسير للأحداث لا يمكن أن يفسر ركود عبدالناصر ، ودهشته وذهول موسكو لدى اندلاع القتال » (١)

* * *

ما الذي نستنتجه من الروايتين السابقتين : رواية تشرشل أو دويتشر نستنتج ما يلي :

١ ـ إن الروس هم الذين أوهموا عبد الناصر بأن هناك

(١) دراسات في المسألة اليهوديه . اسحق دويتشر (ص ١٣١-١٣٤).

حشوداً اسرائيلية على حدود سورية .

٢ ـ لماذا صدّق عبد الناصر الكذبة الروسية ؟

صدّقها ليساعد حليفته سورية في مواجهة أوضاعها الداخلية من جهة ، وليصفع أمريكا التي خذلته عند طلبه القمح من جهة ثانية .

٣ ـ بماذا نفسر وضع الطيران المصري غير الطبيعي صبيحة العدوان ؟

نفسره بتطمينات الروس بأنه لن يحدث قتال من جهة ، وبتحذيراتهم من البدء بالهجوم من جهة ثانية .

٤ ـ هل صحيح أن الروس خدعوا بأقوال الأمريكان ـ كما قال دويتشر ـ في ضبط كل دولة لحليفتها ؟

الجواب : لا . لم يخدع الروس ، ولكنهم كانوا يريدون أن يتجنبوا الصدام مع أمريكا من جهة ، وكانوا يخططون لهزيمة مصر خاصة والعرب عامة من جهة ثانية ، فهذا يجعل مصر والعرب أكثر التصاقاً بهم ، وأكثر حاجة لهم .

كيف جرى القتال على الجبهات الثلاث ؟

سنستعرض في هذا الفصل عمليات القتال التي جرت على الجبهات الثلاث ، لأنه من الضروري أن تدرس في كتاب يرصد النكسة . ونحن سنعتمد على كتاب « حرب الأيام الستة » للعميد عزيز الأحدب في هذا الاستعراض .

العمليات الجوية على الجبهة المصرية :

« إعداد الخطة والتمرس عليها » : (١)

مارست اسرائيل هذه الخطة اعتباراً من سنة ١٩٥٢ أو عاشت معها بعد أن أصبحت جزءاً من حياتها . فأقامت في صحراء النقب (أرضاً مصرية) قواعد جوية رمزية ، ووضعت الدراسات للإغارة عليها وتدميرها بدقة وتوقيت شديدين . وقد

(١) حرب الأيام الستة للعميد عزيز الأحدب (ص ، ٤١) .

تعرضت إحدى (القواعد) في مرحلة التمرين إلى آلاف القنابل. وتكررت هذه العمليات حتى اصبح كل طيـــار يعرف مهمته ويسعى إلى استيعابها ، في انتظار ساعة الهجوم الحقيقي .

جاءت اسرائيل بنخبة شبابها (٢٣)سنة إلى سلاح الطيران، وفرضت عليهم تدريباً طويلاً شاقاً في سبيل تنفيذ خطتها .

وهكذا قضت إسرائيل ١٦ عاماً تدرب سلاحها الجوي على نوع من مهاجمة الطائرات وهي جاثمة على الأرض ، لا على القتال الجوي ، وكانت العمليات الجوية تجري على أربعة أو خمســة أنواع من المدى .

تعاقدت إسرائيل مع (١٢٤٠) ضــابطاً من الذين أنهوا خدمتهم في الفيتنام منهم (٦٠٠) ضابط للطائرات المقاتلة ، والباقون قادة لطائرات الهليكوبتر وفنيون للأجهزة العسكرية.

كفاءة سلاح الطيران الإسرائيلي :

في مطلع عام ١٩٦٧ ، دعا قائد سلاح الطيران الإسرائيلي الجنرال (موردخاي هود) الملحقين العسكريــين بالسفارات الأجنبية في تل أبيب ، إلى حضور عرض جوي أظهر خــلاله كفاءة الطيارين الإسرائيليين ، فقد تمكنوا من تزويد طائراتهم بالوقود والذخيرة والصواريخ في ٧ دقائق ونصف الدقيقة . ومما قاله (هود) إنه يبذل عناية فائقة بالتدريب ، وقد وضع منهاجاً

يجعل الطائرات مستعدة دائماً للقتال .

في الاسبوعين الذين سبقا القتال ، قام سلاح الجــو المصري بثلاث عمليات استكشاف لمطارات إسرائيل شملت منطقــة العريش ، والبحر الميت ، ومراقبة تحركات القوات الإسرائيلية وحشودها . وكانت طائرات (الميغ ٢١) تستكشف من علو يزيد على ٥٠ ألف قدم وبسرعة فائقة بحيث يتعذر على الطائرات الإسرائيلية اللحاق بها ومطاردتها بقصد إسقاطها .

كانت إسرائيل تعرف أن مثل هذا العمــل الاستكشافي يمكن مصر من الحصول على صور عن المواقــع والمطارات الإسرائيلية مقياس ١٥٠٠٠٠ / ١ . فخشيت أن تفضح مصر مخططاتها ، فرأت أن تسرع في ضربتها الجوية التي استعدت لها مدة ١٨ سنة ، قبل فوات الأوان .

الاستكشاف الجوي الاسرائيلي : (١)

قبل تنفيذ الضربة الجوية بأيام قليلة ، قام سلاح الطيران الإسرائيلي بجولة استكشافية فوق الأراضي المصرية ، كما فعلت الطائرات المصرية فوق الأراضي الاسرائيلية (٥٠ ألف قدم) بحثاً عن أمكنة القاذفات (توبوليــف ـ ١٦) الاستراتيجية

(١) ص (٤٢) من كتاب حرب الايام الستة للعميد عزيز الأحدب .

تعرضت إحدى (القواعد) في مرحلة التمرين إلى آلاف القنابل. وتكررت هذه العمليات حتى اصبح كل طيـــار يعرف مهمته ويسعى إلى استيعابها ، في انتظار ساعة الهجوم الحقيقي .

جاءت اسرائيل بنخبة شبابها (٢٣) سنة إلى سلاح الطيران، وفرضت عليهم تدريباً طويلاً شاقاً في سبيل تنفيذ خطتها .

وهكذا قضت إسرائيل ١٦ عاماً تدرب سلاحها الجوي على نوع من مهاجمة الطائرات وهي جاثمة على الأرض ، لا على القتال الجوي ، وكانت العمليات الجوية تجري على أربعة أو خمســة أنواع من المدى .

تعاقدت إسرائيل مع (١٢٤٠) ضــابطاً من الذين أنهوا خدمتهم في الفيتنام منهم (٦٠٠) ضابط للطائرات المقاتلة ، والباقون قادة لطائرات الهليكوبتر وفنيون للأجهزة العسكرية.

كفاءة سلاح الطيران الإسرائيلي :

في مطلع عام ١٩٦٧ ، دعا قائد سلاح الطيران الإسرائيلي الجنرال (موردخاي هود) الملحقين العسكريــين بالسفارات الأجنبية في تل أبيب ، إلى حضور عرض جوي أظهر خــلاله كفاءة الطيارين الإسرائيليين ، فقد تمكنوا من تزويد طائراتهم بالوقود والذخيرة والصواريخ في ٧ دقائق ونصف الدقيقة . ومما قاله (هود) إنه يبذل عناية فائقة بالتدريب ، وقد وضع منهاجاً

يجعل الطائرات مستعدة دائماً للقتال .

في الاسبوعين الذين سبقا القتال ، قام سلاح الجــو المصري بثلاث عمليات استكشاف لمطارات إسرائيل شملت منطقــة العريش ، والبحر الميت ، ومراقبة تحركات القوات الإسرائيلية وحشودها . وكانت طائرات (الميغ ٢١) تستكشف من علو يزيد على ٥٠ ألف قدم وبسرعة فائقة بحيث يتعذر على الطائرات الإسرائيلية اللحاق بها ومطاردتها بقصد إسقاطها .

كانت إسرائيل تعرف أن مثل هذا العمــل الاستكشافي يمكن مصر من الحصول على صور عن المواقــع والمطارات الإسرائيلية مقياس ١٥٠٠٠٠ / ١ . فخشيت أن تفضح مصر مخططاتها ، فرأت أن تسرع في ضربتها الجوية التي استعدت لها مدة ١٨ سنة ، قبل فوات الأوان .

الاستكشاف الجوي الاسرائيلي : (١)

قبل تنفيذ الضربة الجوية بأيام قليلة ، قام سلاح الطيران الإسرائيلي بجولة استكشافية فوق الأراضي المصرية ، كما فعلت الطائرات المصرية فوق الأراضي الاسرائيلية (٥٠ ألف قدم) بحثاً عن أمكنة القاذفات (توبوليــف - ١٦) الاستراتيجية

(١) ص (٤٢) من كتاب حرب الايام الستة للعميد عزيز الأحدب .

الروسية الصنع. وقالت المصادر الاسرائيلية يومذاك إن طائراتها دمرت إحدى طائرات (توبوليف) وهي رابضة في القاعدة الجوية غربي القاهرة .

الضربة الجوية :[1]

في الساعة ٧,٤٥ اقلعت طائرات الميراج والميستير والفوتور الاسرائيلية من مطاراتها في اللد ، وبئر السبع ، وكفرسركين، وتل نوف ، ومجدو ، ورامات دافيد ، ومن الاوتوسترادات بين مستعمرات الساحل ، فاتجهت نحو الغرب على ارتفاعات منخفضة ، واجتازت ٢٣ شبكة رادار للمراقبة المصرية ، وراحت تحوّم فوق مناطق دلتا النيل ، وغرب القاهرة ، وجنوب المتحدة ، ثم تضرب عشر مطارات في وقت واحد وهي :

ـ انشاص ، العريش ، جبل لبني ، بير جعجافه ، أبو صرير ، كبريت ، فايد ، بني صويف ، غرب القاهرة ، بير ثمادا .

وقد صرح المسؤولون الاسرائيليون انه لم يعترض طائراتهم في الموجة الأولى سوى رف من أربع طائرات تدريب مصرية غير مسلحة .

(١) ص (٤٣) من كتاب حرب الايام الستة للعميد عزيز الاحدب .

لقد تمكنت الطائرات الاسرائيلية من الوصول إلى أهدافها من غير عائق ما، والقت قنابلها (وزن ٥٠٠ كلغ) على مدارج المطارات كما ألقت نوعاً من القنابل خاصاً بالمدارج فرنسي الصنع، ونوعاً آخر ذا انفجار متأخر ينفجر بتأخير بضع دقائق .

وبعد الموجة الأولى بفترة قصيرة جاءت الموجة الثانية من الطائرات لتقذف المطارات التالية :

ـ الماظة ، الأقصر، المنصورة ، حلوان ، المينا ، كفرسوار، القاهرة الدولي ، راس نباس ، الجميل ، الشط ، راس سدر ، أبو رديس ، الظر ، ورأس ام السد في غرب سيناء .

كانت موجات الطائرات تتوالى بمعدل موجة كل عشر دقائق ، وكان كل رف مؤلفاً من ٤ طائرات يأتي مرة واحدة على كل هدف . وقد استمر الهجوم الاسرائيلي الجوي ساعتين وخمسين دقيقة . وكانت الغارات الجوية تنصب على القواعد المصرية من جهات متعددة .

كيف نفذت العمليات الجوية :[1]

لم تحتفظ اسرائيل لحماية أجوائها إلا باثنتي عشرة طائرة ، ثمان منها مظلة جوية دائمة ، وأربع للطوارىء رابضة على الأرض

(١) ص (٤٥) من كتاب حرب الايام للعميد عزيز الأحدب .

ومتأهبة للتدخل .

كانت موجات الضرب تتوالى في مدى ١٠ دقائق كانت الطائرات تمنح ٧ دقائق منها لتطوف فوق الهدف ثلاث مرات أو أربعاً ، تسدد في احداها صواريخها وقنابلها إلى الهدف ، و٣ دقائق تمنح للطيارين ليتمكنوا من ضبط خط طيرانهم أو التحليق فوق الهدف مدة أطول ضماناً لنجاح القذف ، ومع ذلك فإن عمليات الإقلاع والضرب والعودة لكل موجة لم تستغرق أكثر من ٥٠ دقيقة موزعة كما يلي :

٢٢ دقيقة ونصف الدقيقة للانطلاق نحو الهدف .

٧ دقائق ونصف الدقيقة للتحليق فوق الهدف .

٢٠ دقيقة للعودة إلى القاعدة .

نتيجة الضربة الجوية (١) :

وهكذا حققت اسرائيل انتصاراً جوياً كاملاً بعد ساعات معدودات من بدء الهجوم ، وأصبحت في موقف مكنها من السيطرة على أجواء المعركة وميادين القتال كافة. وقد كانت هذه السيطرة الجوية السبب الرئيسي في انتصارات اسرائيل في سيناء والاردن وسوريا .

فقدت القوات العربية الجوية ٦٥ ٪ من طائراتها ، ودمرت

(١) ص (٤٥) من كتاب حرب الأيام الستة للعميد عزيز الأحدب .

مدارج طائراتها ومحطات الرادار ، فأصبحت طائرات الميغ المصرية الباقية في وضع حرج لفقدانها مراكز التوجيه ، ولعجزها عن تمييز العدو ، مما حدا بقائد سلاح الجو المصري (محمد صدقي محمود) إلى سحب طائراته من المعركة قبل أن يفقدها بلا مقابل.

العمليات العسكرية في سيناء (١)

خطة الهجوم في سيناء :

— خرق الخطوط الدفاعية المصرية في منطقتين هامتين :

« منطقة رفح العريش ، ومنطقة أبو عجيلة ، وفتح ثغرتين فيهما لعبور القوات الاسرائيلية » .

— القيام بعملية إحاطة لمنع القوات المصرية من الانسحاب بعد احتلال المرتفعات المشرفة على قناة السويس من الجهة الشرقية .

— إبادة القوات المصرية في سيناء بعد محاصرتها بالقوات الاسرائيلية .

تنفيذ العمليات (٢) :

وتنفيذاً لهذه الخطة عمدت القيادة إلى تأليف ثلاث مجموعات

(١) ص (٥٥) من كتاب حرب الايام الستة للعميد عزيز الأحدب .
(٢) ص (٥٥) من كتاب حرب الايام الستة للعميد عزيز الأحدب .

قتال قامت بها كما يلي :

مجموعة القتال الشمالية بقيادة الجنرال (اسرائيل تال) :

كانت مهمة هذه المجموعة خرق الخطوط المصرية عند (رفح)، والتقدم نحو الغرب لاحتلال (العريش) وقطع طريق التموين الرئيسية عند المواقع المصرية ، ثم متابعة الهجوم على الطريق الساحلي باتجاه قناة السويس . وقد وضعت القيادة الاسرائيلية بتصرف (تال) ثلاثة ألوية مدرعة (٣٠٠ دبابة) ، ولواء مشاة ، ولواء مشاة محمول ، وزع الجنرال (تال) قواته لتنفيذ المهمة المركزية اليه كما يلي :

ـ لواء مدرع أول للهجوم على خان يونس .

ـ لواء مدرع ثاني للهجوم على مواقع الدفاع المصرية جنوبي الطريق الساحلي .

لواء مدرع ثالث احتياط يسير وراء اللواء الأول ، ثم يكلف الاستيلاء على (العريش) .

ـ لواء مشاة لاحتلال (غزة) .

ـ لواء مشاة منقول احتياط .

قامت الألوية بتنفيذ مهماتها كما يلي :

اللواء المدرع الأول .

« تحرك نحو (خان يونس) فاحتلها بعد مقاومة عنيفة . وبمعاونة سلاح الطيران كلفت كتيبة منه إحاطة (غزة) من الجنوب تسهيلاً لمحاصرتها والاشتباك معها بالتعاون مع لواء المشاة المكلف بهذه المهمة . أما بقية الكتائب فتابعت هجومها (باتجاه العريش) حيث اصطدمت بمقاومة مصرية عنيفة في (الجراوة) . ولم يتمكن اللواء من اقتحام المقاومة إلا بعد تدخل الطيران ولواء الاحتياط المدرع » .

اللواء المدرع الثاني [1] :

تحرك جنوبي طريق (رفح ـ العريش) محاولاً إحاطة مواقع الدفاع المصرية ، ومع المساندة الجوية تمكن من احتلال قسم من هذه المواقع . وفي هذه الأثناء حاصر لواء مصري اللواء الاسرائيلي، وكاد يفنيه عن بكرة أبيه لو لم ينجده الجنرال (تال) بكتيبتين من مجموعته . وعندها فقط استطاع اللواء المحاصر أن يتابع تقدمه نحو العريش بعد أن تم فك الحصار عنه .

اللواء المدرع الثالث :

« قام بالمهمة الموكولة وتمكن من احتلال العريش بعد مقاومة عنيفة » .

---

(١) ص (٥٦) من كتاب حرب الأيام الستة للعميد عزيز الأحدب .

قتال قامت بها كما يلي :

مجموعة القتال الشمالية بقيادة الجنرال (اسرائيل تال) :

كانت مهمة هذه المجموعة خرق الخطوط المصرية عند(رفح)، والتقدم نحو الغرب لاحتلال (العريش) وقطع طريق التموين الرئيسية عند المواقع المصرية ، ثم متابعة الهجوم على الطريق الساحلي باتجاه قناة السويس . وقد وضعت القيادة الاسرائيلية بتصرف (تال) ثلاثة ألوية مدرعة (٣٠٠ دبابة) ، ولواء مشاة ، ولواء مشاة محمول ، وزع الجنرال (تال) قواته لتنفيذ المهمة المركزية اليه كما يلي :

ـ لواء مدرع أول للهجوم على خان يونس .

ـ لواء مدرع ثاني للهجوم على مواقع الدفاع المصرية جنوبي الطريق الساحلي .

لواء مدرع ثالث احتياط يسير وراء اللواء الأول ، ثم يكلف الاستيلاء على (العريش) .

ـ لواء مشاة لاحتلال (غزة) .

ـ لواء مشاة منقول احتياط .

قامت الألوية بتنفيذ مهماتها كما يلي :

اللواء المدرع الأول .

« تحرك نحو (خان يونس) فاحتلها بعد مقاومة عنيفة . وبمعاونة سلاح الطيران كلفت كتيبة منه إحاطة (غزة) من الجنوب تسهيلاً لمحاصرتها والاشتباك معها بالتعاون مع لواء المشاة المكلف بهذه المهمة . أما بقية الكتائب فتابعت هجومها (باتجاه العريش) حيث اصطدمت بمقاومة مصرية عنيفة في (الجراوة) . ولم يتمكن اللواء من اقتحام المقاومة إلا بعد تدخل الطيران ولواء الاحتياط المدرع » .

اللواء المدرع الثاني [1] :

تحرك جنوبي طريق (رفح ـ العريش) محاولاً إحاطة مواقع الدفاع المصرية ، ومع المساندة الجوية تمكن من احتلال قسم من هذه المواقع . وفي هذه الأثناء حاصر لواء مصري اللواء الاسرائيلي،وكاد يفنيه عن بكرة أبيه لو لم ينجده الجنرال (تال) بكتيبتين من مجموعته . وعندها فقط استطاع اللواء المحاصر أن يتابع تقدمه نحو العريش بعد أن تم فك الحصار عنه .

اللواء المدرع الثالث :

« قام بالمهمة الموكولة وتمكن من احتلال العريش بعد مقاومة عنيفة » .

---

(١) ص (٥٦) من كتاب حرب الأيام الستة للعميد عزيز الأحدب .

اللواء الرابع (مشاة) :

« لم يتمكن من دخول غزة يوم الثلاثاء بعد مقاومة ضارية وقتال في الشوارع قام بها الفلسطينيون » .

لواء الاحتياط المنقول :

« ساهم في معركة (الجراوة) بعد أن عزز اللواء المدرع الأول واللواء المدرع الثاني » .

مجموعة القتال الوسطى بقيادة الجنرال (ابراهيم يافا) :

كانت مهمة هذه المجموعة التحرك باتجاه لهفان لمنع قوافل التموين من الاقتراب نحو العريش وتدمير القوات المصرية لدى قيامها بعملية الانسحاب .

كلف الجنرال (يافا) لواء مدرعاً بالتحرك نحو (بير لهفان) عبر منطقة رملية استغرق اجتيازها تسع ساعات ، واحتل عقدة الطريق التي تؤدي إلى (جبل لبنى) و (أبو عجيلة) و (العريش) . وهنا اصطدم اللواء المدرع بقوات مصرية كانت متوجهة نحو (العريش) فحال دون تنفيذ مهمتها بعد أن طلب تدخل الطيران .

ومن عقدة الطريق المذكورة تابعت قوات (يافا) تقدمها نحو (بير لهفان) و (أبو عجيلة) و (بير حسنة) . وتمركزت

في مضيق (المتيلا) لقطع الطريق على القوات المنسحبة نحو القناة واصطدمت مع القوات المصرية في معارك دامت ٧٢ ساعة .

مجموعة القتال الجنوبية بقيادة الجنرال (اريل شارون) :

كانت مهمة هذه المجموعة محصورة في فتح الثغرة الثانية في منطقة (أبو عجيلة) ، ثم التقدم نحو القناة لاحتلال (مقيمة) ، ثم (بير حسنه) و (نخل والثماوة) .

وضعت القيادة الاسرائيلية لتنفيذ هذه المهمة :

لواء مدرعاً — لواء مشاة — ٦ كتائب من المدفعية (ذاتية الحركة) ، مفارز من الهندسة .

وفي الساعة ٩ من نهار الاثنين حرك (شارون) لواء نحو (أبو عجيلة) ليهاجم الخط من الأمام ، وحرك في الوقت نفسه لواء آخر لإحاطة (أبو عجيلة) وقطع الطريق المؤدي إلى العريش ، وفي مساء الاثنين أنزل كتيبة مجوقلة شمالي (أبو عجيلة) .

ولما تم تطويق منطقة أبو عجيلة ، ركز على مهاجمة مواقع المدفعية المصرية على يد كتيبة مجوقلة . وقد قام بالعملية ليلاً بعد أن أنار أرض المعركة . وتمكن في صباح الثلاثاء ٦ حزيران . من فتح ثغرة في خطوط المصريين .

وبعد أن تمكنت القوات الإسرائيلية من خرق خطوط

الدفاع في (رفح) و (أبو عجيلة) صـــدر الأمر إلى القوات المصرية بالانسحاب ، فتعرضت لقتال مرير ، وتعرض قسم منها للتطويق والإبادة .

العمليات العسكرية على الجبهة الاردنية

خطة الهجوم الاسرائيلية [1] :

تكليف مجموعة قتال (نار كيس) احتـــلال (القدس) والمرتفعات المجاورة لها ، ثم (رام الله) و (نابلس) ، وتطويق الضفة الغربية وعزلها من الضفة الشرقية .

تنفيذ العمليات :

القوات الأردنية تحتل جبل (سكوبس) .

صباح الاثنين في ٥ حزيران تحركت القوات الأردنيـة نحو جبل المكبر (سكوبس) المشرف على القدس القديمة ، واحتلته بعد ان اشتبكت مع القوات الاسرائيلية المتمركزة فيه وتقدر بفصيلتين .

مجموعة قتال (ناركيس) :

في الساعة الثانية من صباح الثلاثاء هاجم لواء مدرع مـن

(١) ص (٥٩) من كتاب حرب الأيام الستة للعميد عزيز الأحدب .

مجموعة نار كيس تدعمـه المدفعية مرتفعات القدس ، فصمدت القوات الأردنية في وجـــه القوات الزاحفة بعناد ، واستغرق القتال مـــا يقارب أربع ساعات تمكنت القوات الإسرائيلية بعدها من احتلال المرتفعات بـــين القدس ورام الله ، ثم تابعت تقدمها واحتلت (رام الله) واتجهت نحو نابلس (جسر الملك حسين) . بينما كانت عنـاصر آخرى من مجموعة (نار كيس) تهاجم القدس وتقاتل فيهـا من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت تساندها قوى من الطيران والمدفعية وقـد صمدت القوات الأردنية في القدس حتى صباح الاربعاء إذ تم احتلال المدينة من قبل القوات الاسرائيلية .

مجموعة قتال اليعازار :

أما مجموعة (اليعازار) فقد اخترقت الحدود الاردنية باتجاه (جنين) . وقـــد نشبت معركة حامية بين القوات الأردنية والإسرائيلية سقطت على أثرها هـذه المدينة . ثم تابعت قوات المجموعة تقدمهـــا نحو (نابلس) واحتلتها ، ثم احتلت جسر (دامية) بمساعدة قوات من مجموعة (نار كيس) . وعنـــد الساعة (٢٢) من ليل الأربعاء توقف القتـال بناء لقرار مجلس الأمن الدولي .

العمليات العسكرية على الجبهة السورية

خطة الهجوم الاسرائيلية [1] :

القيام بعملية تمويه والهـــاء بمحاولة خرق نقاط عديدة من الجبهة السورية شمالي بحيرة (طبريا) ، والتركيز بالواقع على خرق الجبهة قرب (كفرصولد) ، وإحداث ثغرة كافية للوصول إلى طريق (بانياس ــ القنيطرة)، فإلى القنيطرة من الشمال الغربي.

استثمار النجاح على يد مجموعة قتـــال بالهجوم جنوبي الجبهة قرب (تل كيشر) والتقدم نحو القنيطرة من الجنوب .

تنفيذ العمليات :

في اليوم الثاني من القتال (الثلاثاء ٦ حزيران) قامت القوات السورية بثلاث هجمات على تـل القاضي ومستعمرتي (دارة) و (شعار ياشوف) .

كانت القوات المهاجمة محدودة لا تتجاوز الكتيبة مـع ١٥ سرية دبابات،فلم يتيسر لها النجاح بعد تدخل الطيران الإسرائيلي في القتال .

القصف الجوي الاسرائيلي :

يوم الخميس ٨ حزيران كان الطيران الإسرائيلي قـد فرغ من

(١) ص (٦١) من كتاب حرب الايام الستة للعميد عزيز الأحدب .

القتال في جبهتي سينـــاء والأردن فوضع كل ثقـله على منطقة الجولان ، وأخذ يقذفها بعنف واستمرار ليـــلاً نهاراً . وكانت الموجة تتبع الموجة ، وعدد كل منها لا يقل عن ٣٠ طائرة مع فاصل ١٠ دقائق . وتركز القصف ، في الدرجـة الأولى ، على بطاريات الدفـــاع الجوي ، ثم بطاريات مدفعية الميدان ، ثم المواقع الدفاعية المحصنة ، وكان الهدف الرئيسي من هذا القصف العنيف المتواصل ، التـــأثير في معنويات الوحدات السورية بإرهاقها ومنعها من النوم ، والافساح في المجال امام القوات التي قاتلت في سيناء للاستراحة والتحشد أمام الجبهة السورية .

الهجوم الاسرائيلي :

في الساعة ١١و٣٠ من نهار الجمعة ٩ حزيران تحركت المجموعة الشمالية (نحو تل العزيزات) و (بانياس) كما تحركت المجموعة الوسطى نحو (كفرصولد) وبعد المواقع بين كفرصولد وبحيرة طبريا . كانت مهمة المجموعة الشمالية خرق الجبهـــة وفتح ثغرة واسعة فيها . وقد تمكنت هذه المجموعة من القيـام بمهمتها عنـد المساء بعد قتال عنيف ومساندة جوية واسعة النطاق وبعد أن تكبدت خسائر فادحة في المعدات والأرواح .

وفي الوسط استطاعت القوات الإسرائيلية إحداث ثغرة في خطوط السوريين وتمكنت من احتلال (برج بابل) و(الدرباشية).

وفي ليل الجمعة السبت في٩ و ١٠ حزيران استراحت القوات

الإسرائيلية ، وأعادت تنظيمها ، وعززت قواها من باقي الجبهات بعد انتهاء القتال فيها . وصباح السبت ١٠ حزيران انطلقت من تل (العريزات) باتجاه (النخيلة) و (العباسية) و (القنيطرة) وقاتلت باصرار وعناد ، واستطاعت احتلال القنيطرة في تمام الساعة ١٤,٤٠ . وتوقف اطلاق النار بين الجانبين في الساعة ١٨,٣٠ .

والسؤال المطروح الآن بعد العرض السابق لأيام القتال الستة :

لماذا كان الانتصار العسكري الإسرائيلي ؟ وفي المقابل : لماذا كانت هزيمة العرب العسكرية ؟ أولاً : لماذا كان الانتصار الإسرائيلي ؟

كان الانتصار الإسرائيلي نتيجة توفر عنصرين (بشري ، ومادي) .

البشري : يتضمن وعي القيادات ، تفاعل الجنود ، يقظة الاستخبارات ، جودة التدريب واستمراره ، دقة النظام ، القدرة على المبادهة ، استغلال الآلة أقصى استغلال ، فهم الطبيعة الجغرافية لأرض المعركة ، الاهتمام بالمعركة ، التخطيط لها الخ ...

المادي : يتضمن الحصول على معدات القتال المناسبة كماً وكيفاً .

* * *

وبالمقابل : لماذا كانت هزيمة العرب ؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال لا بد من استعراض ما نشره صلاح الدين[١] الحديدي تحت عنوان (شاهد على حرب حزيران) ، وقد تحدث الحديدي فيما كتب عن أوضاع الجيش قبل حرب ٦٧ ، وعن بعض الظروف التي أحاطت به .

فذكر أن صيف عام ٦٦ شهد تنقلات واسعة بين القادة والضباط ، وكان الدافع لهذه التنقلات تطبيق مبدأ الولاء قبل الكفاءة الذي كان سائداً ومعمولاً به في الجيش ؛ ثم يذكر أن كثيراً من الضباط ذوي الكفاءات الممتازة الذين عادوا إثر دورات تدريبية في روسيا ، نقلوا من وحداتهم المقاتلة إلى خارجها : أحيل بعضهم إلى التقاعد ، وبعضهم الآخر إلى الوظائف المدنية .

ثم يتحدث عن إحدى المشكلات المزمنة في الجيش المصري وهو نقص عدد الضباط عن احتياجات القوات المسلحة رغم توفر أماكن لهم في الميزانيات المختلفة ، ثم يوضح ملابسات صدور قرار غير مفهوم هو : تشكيل قيادة قوات برية لم تكن من قبل ، ولا نظير لها في معظم الجيوش الحديثة ، وأعطيت

---

(١) كان الفريق صلاح الدين الحديدي مديراً للمخابرات العسكرية قبل ٦٧ ، وكان قائداً لمنطقة القاهرة الكبرى خلال حرب ٦٧ ، وكذلك شغل مدير أكاديمية ناصر للعلوم العسكرية ، ورئيساً لمدرسة المشاة .

مهمة الإشراف الكامل على كافة القوات البرية في فروع القوات المسلحة : الجيش ، البحرية ، الطيران، معفية بذلك رئاسة هيئة أركان حرب القوات المسلحة من الإشراف المباشر على الوحدات والتشكيلات .

ثم يتحدث عن صراع هذه القيادة الجديدة مع القيادة الأخرى، وعن حيرة الضباط في تحديد ولائهم ، ثم يبين كيف أن الدولة قد خففت ميزانية القوات المسلحة عام الحرب ، وخطأ هذا التخفيف؛ ثم يتحدث عن أضرار حرب اليمن النفسية والعسكرية في القوات المسلحة المصرية .

ثم يبين أن الاستراتيجية العامة للقيادة المصرية كانت دوماً ، استراتيجية دفاعية ، ثم يوضح أن الاسلوب الذي اعتنقته القوات المصرية في الدفاع كان متأثراً بالاسلوب الذي سارت عليه القوات الروسية أثناء الحرب العالمية الثانية، وهو أسلوب دفاع الخطوط، وإن كان الكاتب يرجح ملاءمة أسلوب الدفاع المتحرك للجيش المصري أكثر من أسلوب دفاع الخطوط الروسي لأسباب يعددها.

ثم يذكر أنه لم توضع سياسة محددة قبل عام ١٩٦٤ لتجهيز مواقع القتال للأسلحة والمعدات والمركبات والأفراد حسب الخطط المقررة ، فلم تكن هذه المواقع المختلفة ولا المناطق الدفاعية بمواقعها المتعددة لها أماكن ثابتة بكل تفاصيل الخطة ؛ إذ لم يحدث تفكير جدي لتقديم الإمكانية اللازمة لتثبيت هذه

المواقع على شكل موحد متفق عليه بين القيادة العامة وقيادة المنطقة الشرقية حتى عام ١٩٦٤ حيث عرض تخطيط جديد للدفاع عن سيناء ، واعتمد هذا التخطيط من القائد العام .

ثم يبين أن النطاق الدفاعي الأول ظهر في حوالي نهاية عام ١٩٦٥ منطقة حصينة لا تقل عن مناطق الدفاع التاريخية كخط ماجينو أو خط زيجفريد .

ثم يوضح صراع القيادات حينما صدر قرار فجائي بتشكيل قيادة جديدة اسميت (القيادة الأمامية للجبهة) قبل عدة أيام من الحرب ، حيث بدأت القيادة القديمة تكيد لها ، وتعرقل تنفيذ أوامرها وخاصة قيادة المنطقة الشرقية ، ثم يبين كيف أن القيادة وضعت خطتين هجوميتين على إسرائيل ، ثم عدلت عنهما في مؤتمر عسكري سياسي مساء يوم ٢ / ٦ / ٦٧ بين جمال عبد الناصر فيه أننا قد كسبنا المعركة سياسياً ، وخسرتها إسرائيل ولم يبق أمامها إلا أن تعتدي علينا .

والآن بعد هذا العرض لمضمون كلام الفريق الحديدي في (شاهد على حرب حزيران) ، نعود إلى طرح السؤال والإجابة عليه : لماذا كانت هزيمة العرب ؟

لقد كانت هزيمة العرب نتيجة تخلخل العنصر البشري.

لقد تضمن هذا التخلخل : تفسخ العلاقات الاجتماعية ، الارتجال في العمل العسكري ، عدم اتخاذ موقف الهجوم بل

اعتماد الدفاع ، تصارع القيادات ولهوها، اعتبار التنصر السياسي هدفاً ، عدم اختيار الأسلوب الدفاعي المناسب ، فوضى الارتباطات .

ما هو سبب النكسة ؟

والآن بعد هذا العرض للملابسات السياسية التي سبقت القتال ، وبعد العرض الموجز لأيام القتال ، وبعد النتائج التي استخلصناها في الموقف السياسي والعسكري نسأل :

لماذا نجحت أمريكا في تدبير انقلاب عبد الناصر ؟

والأهم : لماذا استمر حكم عبد الناصر مع ارتباطه الخلفي بأمريكا ؟

لماذا ترضى شعوب المنطقة الاعتماد على الروس في مواجهة عدوها ، وتثق بهم، علماً بأنها لدغت شر لدغة من التعاون مع القوة العالمية الكبرى منذ فترة قريبة ؟

لماذا كنا ألعوبة في يد القوى العالمية ؟

لماذا كان العنصر البشري متخلخلاً عند العرب ؟

إننا نعتقد أن السبب الأساسي الذي جعل أمريكا تنجح في إيصال عبد الناصر إلى الحكم ، وجعل حكم عبد الناصر يستمر قبل النكسة وبعدها بتأييد جماهيري واسع ، وجعل شعوب

المنطقة تعتمد على الروس أو جعل العنصر البشري غير متوفر أثناء القتال ، إننا نعتقد أن السبب الأساسي وراء هذه المواقف والأعمال الفرعية التي كانت عوامل رئيسية أدت إلى النكسة ، هو مرض المجتمع العربي وإنسانه ، وتخلخل بنائها الناتج عن فقدان العقيدة التي توحّد كيانها ، وتنظّم خطواتها ، وترسم غاياتها .

إذن فطريق النصر هو توليد مجتمع العقيدة وإنسانه .

أو نظن أنه لا حاجة بنا لإثبات دور العقيدة في إنشاء المجتمعات ، وفي بناء تماسكها ، وفي دفعها على معارج الرقي والتقدم .

فتأثير العقيدة الماركسية واضح في بناء المجتمعين الروسي والصيني ، وإنهاضها ، ووضعها في مصاف الدول العظمى .

وتأثير العقيدة الديمقراطية بيّن في دفع مجتمع الفرنسي إثر الثورة الفرنسية ، وتسنمه قيادة العالم .

وتأثير العقيدة القومية جليّ في توحيد ألمانيا في القرن التاسع عشر ، وتحريكها بقيادة هتلر بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى .

وقديماً : تأثير العقيدة الإسلامية ناصع في دفع العرب ، وفي حضارتهم ، وفي قيادتهم للبشرية .

الخلاصة : لم يلعب مجتمع ما دوراً حضارياً إلا وكانت

العقيدة عاملاً من العوامل الأساسية التي جعلته يلعب مثل هـذا الدور من خلال توليد مجتمع العقيدة وإنسانه .

ولن يستطيع مجتمع أن يدفع عنه غائلة الاعتداء ناهيك عن الانتصار ، وتأدية رسالة حضارية إلا إذا كانت له عقيدة تجعل منه كلاً متماسكاً .

أو قل : إن أي انطلاق حضاري ـ ماضياً وحاضراً يبدأ بفعل عقيدة ما تولد مجتمعاً وإنسانا عقائديين . يجسدان تلك العقيدة ، ليحدثا بعد ذلك الصمود ، والانتصار ، ثم الرسالة الحضارية .

فما هي قصة مجتمع العرب مع العقيدة ؟

ولماذا لم يتقبل أية عقيدة حتى الآن ؟

ولماذا لم يتولد فيه مجتمع العقيدة وإنسانه ؟

* * *

مجتمع العرب ... والعقيدة

كانت العقيدة الإسلامية هي الموجهة لمجتمع العرب خلال القرون السابقة جميعها .

ثم جاءت فترة ركن فيها هذا المجتمع ، وتبلد ، في حين أن أوروبا استيقظت وتسلمت زمام راية الحضارة .

وبدأ دور العقيدة الإسلامية يضعف .

يضعف أثره في النفوس .

وتخف سيطرته على واقع المجتمع .

بدأ الناس ينفلتون منها ، وهي تبتعد عنهم ، إلى أن بقيت من عقيدة الإسلام صلوات تؤدى دون روح ، وأقوال يدندن فيها دون أفعال .

لم يقف الأمر عند هذا ، بل بدأ الغرب القوي يلكز المجتمع

الراكن المتبلد .

يحاول أن يصرعه ، طامعاً في أن يستخدمه ويستعبده من جهة ، وراغباً في أن ينفس عن أحقاده الدفينة من جهة ثانية .

ومع كل هذا الضعف والخور الذي أصاب المجتمع الإسلامي عامة ، ومجتمع العرب خاصة ، كان الإسلام هو العقيدة الوحيدة النافذة في المجتمع ، إلى أن أبعدت عنه رسمياً بعد سقوط الخلافة العثمانية في مطلع القرن العشرين .

ووقع احتكاكنا بالغرب على طول فترة الانحدار والضعف تلك ، والتي استمرت ثلاثة قرون ، وبدأ ـ بالتالي ـ ما يسمى عصر النهضة بعد مجيء نابليون إلى مصر في نهاية القرن الثامن عشر .

ومع بداية عصر النهضة بدأت قصة مجتمع العرب مع العقيدة المنقذة ، والطريق المخلّص .

فقد أحس كثير من مفكري الأمة بتخلف أمتهم ، ولمسوا انحطاطها ، فانكبوا على دراسة الواقع وتفحصه من أجل إنقاذ الأمة من وهدتها ، ورفعها من عثارها .

فشخصوا الداء ، وتحدّثوا عن الأمراض ، ثم حدّدوا العلاج ،

ووصفوا المقادير .

بدأت سلسلة المصلحين في القرن التاسع عشر ، أو بصورة أدق منذ منتصفه بالطهطاوي وخير الدين باشا ، واستمرت ولمّا تنته للآن .

فما هي العقائد التي طرحت على أمتنا ؟

١ ـ العقيدة الديمقراطية :

لقد طرحت العقيدة الديمقراطية على الأمة منذ الاحتكاك بالغرب حتى إن بعض المصلحين مثل الطهطاوي نادى في فترة مبكرة بالاستفادة من جوانب حياة الغرب السياسية .

وقد كانت ثورة ١٩١٩ في مصر ديمقراطية في تفكيرها ، وأهدافها ، ونتائجها .

فقد قصدت أن تحقق حريات الشعب ، وأن تنظم دستوراً للأمة يحدد صلاحيات الخديوي ، وأن توجد برلماناً وأحزاباً .

وقد استطاعت هذه الثورة فعلاً بقيادة سعد زغلول أن تصل إلى ما هدفت إليه .

فقد أعلن دستور للبلاد ، وجرت انتخابات ، وتشكل

برلمان ترأسه زغلول ، وانبثقت عنه وزارة مسؤولة أمامه ، وظهرت عدة أحزاب متنافسة في الساحة السياسية .

وإن عباس محمود العقادخير من يمثل هذه العقيدة الديمقراطية فكراً وسلوكاً .

فقد عمل تحت راية ثورة ١٩١٩ أثناء اشتعالها .

وسني قلمه يدعو للأفكار الديمقراطية ويبشر بها .

ثم سجن عام١٩٣٨ دفاعاً عن قيمها ومؤسساتها حينما حاول الملك فؤاد أن ينتقص منها .

وكادت أن تكلفه العقيدة الديمقراطية حياته مرتين :

الأولى : حينما أطلق شاب معجب بالنازية النار عليه في فلسطين .

الثانية : حينما وصل روميل إلى العلمين خلال الحرب العالمية الثانية .

فقد كان متوقعاً أن يكون إعدام العقاد أول إعدام ينفذ في القاهرة لأنه كتب (هتلر في الميزان) مهاجماً النازية عامة ، وهتلر خاصة .

وقد هاجم الأفكار والحركات التي أضعفت شوكة الديمقراطية

بعد الحرب العالمية الثانية ، فهاجم الشيوعية ، وهاجم جماعة الإخوان المسلمين .

والسؤال الآن : هل وقفت الديمقراطية في حدود مصر ؟

الجواب : لا . فلم تقف الفكرة الديمقراطية في حدود مصر وإنما تعدتها إلى البلاد العربية الأخرى .

فقامت ثورة أخرى في العراق عام ١٩١٩ ،وكانت ديمقراطية ـ أيضاً ـ في رجالها ، وفي تفكيرها وأهدافها ، وقد حققت النتائج ـ نفسها ـ التي حققتها ثورة ١٩١٩ في مصر .

وانتقلت عدوى الديمقراطية إلى الدول العربية الأخرى فقد طبقت جميعها المبادىء الديمقراطية بعد استقلالها ، كسوريا ولبنان ، والسودان .

وقد استمرت العقيدة الديمقراطية هدف المنطقة ، ومثالها المحتذى مدة نصف قرن.

ثم بدأ يتساقط التطبيق الديمقراطي من دولة إلى أخرى .

بدأ انهيار النظام الديمقراطي من مصر إثر إنقلاب ١٩٥٢ .

إذن بدأ الانحسار من الدوله التي بدأت التطبيق .

ثم تبعت الدول العربية الأخرى . فسقطت المؤسسات

الديمقراطية فيها .

والسؤال الآن : لماذا انهار النظام الديمقراطي في مجتمع العرب عامة وفي مصر خاصة بهذة السرعة ؟

لماذا فشلت العقيدة الديمقراطية في توليد المجتمع الديمقراطي .

ويمكن أن يتضح هذا الفشل بشكل جلي بالمقارنة بين مصر واليابان .

فقد بدأ احتكاك كل من مصر واليابان بالغرب في وقتين متقاربين من القرن التاسع عشر .

وسعت كل من الدولتين إلى اللحاق بركب الحضارة وتجاوز التخلف ، والاقتداء بالغرب .

وحاولت كلتاهما أن تأخذ بالديمقراطية عقيدة ونظاماً .

فلماذا كان النجاح حليف اليابان فتولد عندها المجتمع الديمقراطي ، وسارت ـ بالتالي ـ في ركب الدول المتحضرة؟

ولماذا كان الفشل حليف مصر خاصة والعرب عامة فلم يتولد عندهم المجتمع الديمقراطي .

ليس من شك بأن توليد المجتمع الديمقراطي في اليابان وانعدام

ذلك في مصر يعود إلى عامل داخلي خاص بمصر ، ولا يعود إلى عامل خارجي لأن العامل الخارجي المؤثر في البلدين والحالتين واحد هو قانون جذب الحضارة الغربية وشدها ، وتقليد الضعفاء للأقوياء .

٢ ـ العقيدة الماركسية :

توصلت العقيدة الماركسية إلى الحكم في روسيا عام ١٩١٧ ، ثم طبقت في عدد من الدول الغربية والشرقية بعد الحرب العالمية الثانية .

وقد طرحت العقيدة الماركسية على منطقتنا كما طرحت على بقية مناطق العالم ، وتأسست أحزاب شيوعية في مختلف البلاد العربية في عشرينات هذا القرن .

وقد سعت هذه الأحزاب جاهدة في أن تولد المجتمع الماركسي وانسانه .

فلماذا لم تفلح في توليد هذا المجتمع ؟

ويمكن أن يتضح عدم النجاح في التوليد بالمقارنة مع حزب شيوعي آخر نجح في توليد المجتمع الماركسي هو الحزب الشيوعي الصيني .

ويمكن أن نقرر بأن نجاح التوليد هناك وانعدامه هنا إنما يعود إلى عوامل داخلية خاصة لظروف المنطقة ، وليس إلى عوامل خارجية ، لأن العوامل الخارجية واحدة في المنطقتين .

٣ ـ العقيدة القومية :

استطاعت هذه الفكرة أن تولد مجتمعاً قومياً وإنساناً قومياً في نهاية القرن التاسع عشر في كل من المانيا وايطاليا .

وقد استطاعت الفكرة ذاتها أن تعيد بناء المجتمع الألماني بعد الحرب العالمية الأولى بقيادة هتلر .

هذا عن دور العقيدة القومية في ألمانيا وايطاليا في القرنين التاسع عشر والعشرين . فما هو دورها في منطقتنا.

لقد كانت العقيدةالقوميةأولى الأفكارالتي حمل العرب رايتها في العصر الحديث ، وتفاعلوا معها ، ربما لأنهم ظنوا أن القومية تحل لهم مشاكلهم .

فقد قامت أول ثورةقومية بقيادة الشريف حسين ضد الحكم التركي ، وهدفت إلى إنشاء مجتمع قومي ووحدة عربية .

وقد حكم الهاشميون قادة هذه الثورة عدة أقطار في بلاد

الشام ولفترة طويلة ، وكان بعضها ذا امكانيات جيدة كالعراق، حيث يمكنه أن يؤدي دوراً فعالاً في العالم العربي .

والسؤال المطروح الآن : هل استطاعت العقيدة القومية التي حمل الهاشميون لواءها أن تولد المجتمع القومي .

الجواب : لا . بدليل وجود التفسخات الاقليمية التي ما زالت تسود مجتمع العرب .

ثم حملت أحزاب أخرى الفكرة القومية في الأربعينيات ، واعتبرتها عقيدتها الخالصة ، وتلافت سياسة التفكير القومي الموجود عند الهاشميين وميوعته ، ونادت بالمجتمع الانقلابي الذي يخلف المجتمع التقليدي على أسس عقلية وعلمانية .

(فهل نجحت هذه الأحزاب في دعوتها القومية ؟

الجواب : لا .بدليل أنه لم تتحقق الوحدة العربية ولوجزئياً في البلاد العربية حتى الآن .)

حملت حركة أخرى العقيدة القومية هي حركة القوميين العرب في الخمسينيات ، وتطرفت في ذلك ، ودعت إلى مجتمع قومي عربي .

ثم وصلت إلى الحكم في جنوب اليمن ، فماذا كانت النتيجة

هل ولدت مجتمع العقيدة القومية ؟

الجواب : لا . بدليل استبدالها الماركسية بالعقيدة القومية.

ولم تكتف بالبديل ، بل أدانت مختلف أجنحتها التي نتجت عن تمزقها ، أدانت مرحلتها القومية السابقة ، وحاولت أن تتطهر من إثم القومية بالاستزادة من جرعات الماركسية ، والتوغل الموحش في أمواهها ، ويتضح ذلك في مثل كتاب « لماذا منظمة الاشتراكيين اللبنانيين ؟ »

والسؤال الآن : لماذا لم تنجح العقيدة القومية في توليد المجتمع القومي ؟

ليس من شك بأن عدم نجاح العقيدة القومية في توليد المجتمع القومي عندنا يعود إلى عوامل داخلية .

إن فشل جميع العقائد التي طرحت على العرب في توليد مجتمعها أمر ملفت للنظر .

ويرجع الفشل ـ كما رأينا ـ إلى عامل داخلي ، فقد نجحت هذه العقائد في تربة أخرى ، حيث عجزت أن تنبت شيئاً في تربتنا

فما هو هذا العامل الداخلي ؟

إنه شخصيتنا الحضارية التاريخية .

الشخصية الحضارية التاريخية وآلية صراعها

ذكرنا أن الشخصية التاريخية هي العامل الذي حال دون نجاح العقائد الأوربية المختلفة في توليد مجتمعها ، وحال دون قيادتها لمجتمعنا .

ذكرنا ذلك في الصفحات السابقة ، والسؤالان المطروحان الآن هما :

ما هي هذه الشخصية الحضارية التاريخية ؟

وما هي آلية صراعها ؟

الشخصية الحضارية التاريخية في بلد أو أمة هي موروثات هذا البلد أو هذه الأمة في مختلف أبعاد الحياة النفسية الاجتماعية الاقتصادية ، الفكرية السياسية الخ ...

فهي ـ إذن ـ الخلفية التي تحكم تصرفات الأمة أو البلد ،

وتوجهها .

وقد واجهت شعوب العالم غزو أوروبا الحضاري بهـــذه الشخصية الحضارية التاريخية . فان غلب جانب المعقولية والصحة فيها بلورها الصراع ، وإن غلب جانب الخرافة والرضى ذابت في العقائد الغازية .

ويمكن أن نمثل على الصورتين السابقتين من الصراع بصراع الشخصية الحضارية التاريخية في كل من بلاد العرب ، وفي كل من الصين واليابان .

فقد أدى الصراع في كل من الصين واليابان إلى أن تتغلـــب العقائد الغازية على هذه الشخصية الحضارية التاريخية فسـادت العقيدة الماركسية في الصين ، والديمقراطية في اليابان . امـا في بلاد العرب فقد أدى الصراع إلى تبلور عدد من قيم الشخصيـة الحضارية وإلى فرز قيم جديدة كانت مكنونة ومخبأة في ثناياها.
وسندرس هذا الصراع ، وما بلوره من قيم في أربـع مجالات:

١ ـ المرأة :

كان وضعها في نهاية القرن التاسع عشر يتلخـــص في الملامح التالية :

أ ـ الشك وعدم الثقة بها .

ب ـ وجوب تسترها دون استناد ذلك إلى اقتناع حقيقي بالنسبة إلى المرأة على الأقل .

ح ـ ارتكاز مفهوم الشرف على عفة المرأة دون المطـــالبه بعفة الرجل .

د ـ انفصال مجتمع النساء عن مجتمع الرجال بـــدوافع تشنجية أكثر منها عقلية .

وكان وضع المرأة في أوروبا ـ البلد الغازي ـ على النقيض من ذلك ، ويمكن أن نعرض بعض ملامحه التالية :

أ ـ اعتبارها مثل الرجل لا فرق بينهما .

ب ـ تبرجها وتكشفها .

ج ـ اختلاط مجتمع الرجال بمجتمع النساء .

نتج عن هاتين الصورتين المختلفتين لوضع المرأة صراع أدى إلى انهيار في شبكة العلاقات الاجتماعية لمجتمع العرب .

فقد سار قسم من المجتمع نهائيـاً حسب قيم أوروبا في تبرج المرأة ، وانطلاقها ، واختلاطها .

وتحجر قسم آخر من المجتمع على قيمه الموروثة ، واعتبرها الحق الذي ليس قبله أو بعده شيء .

لكن الصراع أفرز اتجاهاً جديداً يقوم على نظرة جديدة ـ إلى المرأة ـ تحترمها، وتعتبرها شقيقة الرجال، وتسندتسترها إلى قناعتها الداخلية قبل الإلزام الخارجي، وتعمم مفهوم العفة على المرأة والرجل، فكلاهما ملزم بالعفة، وكلاهما مخطىء إن وقع في الفاحشة. وتبنى عدم الاختلاط على أسس عقلانية فيها خير المجتمع وتماسكه وصلاحه.

لقد بلور الصراع قيماً كانت مخزونة في شخصيتنا الحضارية التاريخية، وكشفها، وأزال الغبار عنها.

ولما ينته الصراع، بل سيستمر إلى أن يسود وينتصر أحد الاتجاهين.

ـ العقيدة :

كانت عقيدة مجتمع العرب في القرن التاسع عشر تتصف بالملامح التالية :

أ ـ توحيد لفظي واشراك واقعي.

ب ـ تصوف مرضي يهدف إلى إرواء الذات.

أما مجتمع أوروبا فكان يتصف بالملامح التالية :

أ ـ اعتماد العقل في كل أمور الحياة.

ب ـ اعتماد التجريب طريقاً للوصول إلى الحقيقة.

احتدم الصراع بين هاتين الصورتين المتناقضتين، فكان من نتيجة هذا الصراع أن دعا محمد عبده [1] في نهاية القرن التاسع عشر إلى تطوير العقيدة الإسلامية بما يتناسب مع معطيات الحضارة الغربية [2]

وقد نفذ دعوته فعلاً فأوّل معطيات العقيدة الإسلامية بما يتمشى مع العقل من جهة، ومع منجزات الحضارة الغربية من جهة ثانية، وضخّم العقل وساواه بالوحي، وضيّق حيّز الغيبيات.

وقد صفق الغرب ومستشرقوه كثيراً لهذة الدعوة، وذلك لأنها يمكن أن تحقق هدف الغرب في إلحاق المجتمع الإسلامي بالحضارة الأوروبية.

فماذا كانت النتيجة ؟

هل استجاب الفكر الإسلامي لدعوة محمد عبده ؟ أم لم

---

(١) يمكن أن يرجع القارىء إلى كتاب (الفكر الاسلامي المعاصر. دراسة وتقويم) تأليف غازي التوبة حيث يجد تفصيلاً لهذه الفكرة في الصفحات (٦٥ ـ ٧٧).

يستجب ؟ وفي أي اتجاه سار ؟

الحقيقة : إنه لم يستجب ، وسار في اتجاه مناقض لما بدأ به محمد عبده ، فأعطى العقل مكانه وحجمه الصحيحين في إطار العقيدة الإسلامية ، ورفض مذهب التأويل الذي يعتسف الحقائق اعتسافاً ، وذلك أوضح ما يكون في كتابات محمد الغزالي وسيد قطب .

وقد أسف المستشرقون كثيراً لأن مجتمع العرب لم يستجب لدعوة محمد عبده ، وأبرزهم المستشرق (جب) في كتاب (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) .

لكن قد يقال إن مجتمع العرب قد انفلت من الدين ، أوقل إن البوصلة تشير إلى ازدياد المنفلتين .

قد يكون هذا صحيحاً .

لكن هذا لا يدل على عكس ما قدمنا : من أن الفكر الإسلامي قد أخذ وجهة مخالفة تماماً لما بدأ به محمد عبده ، بل يدل على أن الناس ينفلتون من الدين عامة ، وقد ساهمت دعوة محمد عبده في بعض جوانبها بالمساعدة على مثل هذا الانفلات من الدين .

٣ً ـ التغريب :

قامت دعوة في المنطقة إلى الاقتداء بالغرب ، وأخذ حضارته

من أجل التقدم وإزالة التخلف .

وكان طه حسين أوضح داع لهذه الفكرة في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) إثر عقد مصر معاهدة استقلال مع بريطانيا عام ١٩٣٦ فقد دعا في كتابه ذاك إلى الاقتداء بالغرب والأخذ بحضارته : حلوها ومرها ، في كل المجالات من ثقافة وفكر وسياسة واقتصاد واجتماع الخ ...

وقد حاول أن يبرر دعوته تلك بأن مصر قطعة من الغرب طوال تاريخها ، وأن عقلها لا يختلف عن العقل الغربي ، وقد استنكر القول بأن مصر شرقية .

ليس من شك بأن محتوى هذه الدعوة مناقض تماماً لمحتوى الشخصية الحضارية التاريخية ؛ وبالفعل فقد اصطدم الصراع بين هذه الدعوة وبين الشخصية الحضارية التاريخية ، فماذا كانت النتيجة ؟

هل اتجه المجتمع المصري خاصة والمجتمعات العربية عامة نحو التغريب ؟

الجواب : لا .

فإن مصر وغيرها من المجتمعات سارت في طريق آخر هو طريق العودة إلى التراث .

هذا الاتجاه الذي حمل انقلاب ١٩٥٢ لواءه .

٤ً ـ القوميتان السورية والفرعونية

دعا أنطون سعادة إلى القومية السورية بعد الاحتلال الفرنسي لسورية ،وحاول أن يربط حضارة بلاد الشام بجذورها الفينيقية والسيريانية مستلهماً في ذلك التجربة الأوروبية في العودة إلى التراث الإغريقي .

وربما نشطت القومية الفرعونية بمصر في فترةٍ أبكر ، وقد مهدت لنجاحها دراسات أثرية أبرزت تاريخ مصر القديم ، وقد تنافست عدة أحزاب في حمل رايتها ، وانفردت في ساحة العمل السياسي مدة نصف قرن .

ليس من شك بأن مضمون القوميتين السورية والفرعونية تجاوز لمضمون الشخصية الحضارية التاريخية .

لذلك كان صراع بينهما ، فماذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة انبثاق الفكرة العربية وانتصارها : واندحار الفكرتين الفرعونية والسورية .

تم ذلك في مصر بعد انقلاب ١٩٥٢ .

وتم ذلك في سورية في أواسط الخمسينات .

وعمت الراية العربية المنطقة .

فثورة الجزائر عربية .

وثورة الجنوب اليمني عربية .

وانقلاب السلال في اليمن الشمالي شكل الجمهورية العربية اليمنية الخ ...

جذور شخصيتنا الحضارية التاريخية

عرّفنا في الفصل السابق شخصيتنا الحضارية التاريخية ، حددنا آلية صراعها مع عقائد أوْربة وقيمها .

والسؤال المطروح الآن : ما هي الجذور الحضارية التي استندت إليها هذه الشخصية ؟

الجذور هي :

١ ـ التوحيد :

التوحيد سمة بارزة من سمات تاريخ العرب بعد الإسلام ،وقد واستمر يدمغ مجتمعنا بطابعه عبر العصور ، ويمكن أن نعمم هذا الحكم بحيث لا نستثني أية فترة أو أية جماعة .

وقد أشار توينبي إلى هذا الجذر الحضاري وأبدى إعجابه به .

٢ ـ القرآن :

شكل القرآن محوراً لحضارتنا في كل منجزاتها من علوم

شرعية ودنيوية . وربما لم يلق كتاب عناية مثل ما لقي القرآن وربما لم يلتزم مجتمع بكتاب بمثل ما التزم مجتمع العرب بالقرآن.

ب ـ العربية :

شكلت اللغة العربية صفة مميزة لحضارتنا ، وقد جاء ارتباطها بها من أنها لغة القرآن ، ولغة الصلاة .

ج ـ الانسان مستقر إيجابي :

إن الإنسان الذي ولدته حضارتنا الإسلامية كان مستقراً وإيجابياً ، ونحن الآن لا يمكننا أن نثبت صحة هذا الجذر من خلال الدراسات النفسية ، ولكن يمكن أن نثبت صحته من زاوية أخرى هي زاوية الفنون .

فهناك حقيقة مقررة هي أن الفنون ـ عامة ـ تعبير عن أزمة للذات وأعمق ما تكون هذه الأزمة وأحدّها عندما تكون مرتبطة بأسئلة مصيرية عن الكون والحياة من مثل : كيف خلقت ؟ ولم ؟ وما هو مصيري ؟ الخ ...

أما الفنون التي عرفتها البشرية فهي : المسرح ، النحت ، التصوير ، الشعر ، الغناء .

فماذا كان موقف الحضارة الإسلامية من هذه الفنون ؟

وما هي سماتها فيها ؟

وكيف تناولتها ؟

أ ـ المسرح :

هل عرفت حضارتنا المسرح ؟

الجواب : لا . لماذا ؟

علّل توفيق الحكيم انعدام المسرح في حضارتنا فقال : « هناك سبب شائع في تفسير إحجامنا عن التأليف المسرحي في عصوره الأولى هو ارتباط التأليف المسرحي القديم بالأساطير حيث يجسم فيها المؤلفون روح الصراع بين الإنسان والقوى الإلهية فهي نزعة وثنية لم يكن الإسلام ليقبلها ، ولم تكن معاني الدين التي استقرت في نفوس الناس لتسمح بقيام تفكير من هذا النوع » (١)

لكن توفيق الحكيم دافع عن الإسلام تهمة وقوفه دون شيوع هذا اللون من النشاط الأدبي فقال : « بأنه سمح (أي الإسلام) أن يترجموا كثيراً من الآثار التي أنتجها الوثنيون فهذا كتاب (كليلة ودمنة) الذي نقله ابن المقفع عن (اللغة الفهلوية) وهذا كتاب (الشاهنامة للفردوسي) الذي نقله (البنداري) عن (الفرس) في عهدهم الوثني . كما أن الإسلام لم يحل دون ذيوع خمريات (أبي نواس) ولا دون نحت التماثيل في قصور الخلفاء ولا دون براعه التصوير في (المنياتور) الفارسي ، كما أنه لم

(١) مقدمة أوديب ص ٢٠ .

يحل دون نقل كثير من المؤلفات اليونانية التي جاء فيها ذكر لتقاليد وثنية »[1] إلى آخر ما استدل به على تقبل الإسلام لأعمال تحمل طابع الوثنية .

ثم يحدد توفيق الحكيم سبب عدم قيام المسرح في الجاهلية بأنه كان فقدان الاستقرار

فلماذا لم يقم المسرح في الدولتين الأموية والعباسية مع أن الحياة استقرت فيهما ؟

يجيب الحكيم على سؤاله ذاك فيقول : « إن العرب في الدولة الأموية وما بعدها ظلوا يعتبرون شعر البداوة والصحراء مثلهم الأعلى الذي يحتذى ، وينظرون إلى الشعر الجاهلي نظرتهم إلى النموذج الأكمل الذي يتبع . فهم قد أحسوا فقرهم في العمارة ولم يحسوا قط فقرهم في الشعر . وهم عندما أرادوا أن ينقلوا عن غيرهم وينهلوا ذهبوا كل مذهب ، ونظروا في كل فن ، إلا فن الشعر الذي اعتقدوا أنهم بلغوا الغاية منذ القدم »[2] .

يعتبر الدكتور عز الدين اسماعيل في كتابه (قضايا الانسان في الأدب المسرحي المعاصر) تعليل الحكيم لظاهرة انعدام المسرح في تاريخنا الماضي منطوياً على جزء من الحقيقة وليس الحقيقة كلها .

---

(١) مقدمة أوديب ص ٢٠ .

(٢) مقدمة أوديب ص ٢٥ .

لذلك يقدم فرضاً آخر يعلل انعدام المسرح الدرامي في تاريخنا وهو أن العقلية العربية نزاعة إلى التجريد لا التفصيل ، ويعينها العام في صورته المتجاوز لكل تحديد وتصنيف .

في حين أن الأساس الصالح لظهور هذا الشكل الدرامي هو الفكر القائم على عرض تفصيلات الحياة وجزئياتها لتركيب كل تتمثل فيه « الوحدة التي تجمع الشتات » .

لكنه يشكك - بعد ذلك - في صحة هذا الفرض فيقول « مع ما يبدو في هذا الفرض من وجاهة ، ما زلت أحس بأن الشكل الدرامي لا يكفي لبروزه في مجال التعبير أن يكون منهجه الفكري يعني بتفصيلات الحياة ، لأن مجرد ملاحظة الحياة في تفصيلاتها المختلفة قد ينتج عنه التعبير السردي (القصصي) ولا يلزم أن ينتج عنه التعبير الدرامي »[1] .

ثم يحدد السبب الذي أدى إلى فقدان الدراما في حضارتنا فيقول : « والتعبير الدرامي في أقوى وابرز صوره (الصورة المسرحية) يدلنا في وضوح على أن مؤلفي المسرح يتميزون بصفة خاصة بمقدرة على ما يسمى : « الإدراك المأساوي للحياة» إن إدراكهما في الحياة من مأساة ، أو إدراك مأساويتها هو الغرض

---

(١) قضايا الانسان في الأدب المسرحي المعاصر للدكتور عز الدين اسماعيل (ص ، ٣٨) .

الذي نضيفه الآن في سبيل تحديد ما لظهور التعبير الدرامي من دلالة خاصة . وبغير هذا الإدراك لم يكن من الممكن ـ فيما أرى ـ أن يظهر هذا التعبير الدرامي الراقي (أعني الصورة المسرحية) مهما توافرت الظروف والاستعدادات الخاصة والعامة » [1] .

ثم يحدد الدكتور عز الدين اسماعيل عناصر التي لا بد من توافرها وبروزها وتفاعلها في كل عمل يحمل الطابع الدرامي بأنها هي : (الإنسان ، الصراع ، وتناقضات الحياة) [2] .

نعود إلى السؤال : لماذا انعدم وجود المسرح في تاريخنا ؟

نستطيع الآن أن نحدد بشكل دقيق السببين الرئيسيين اللذين أديا إلى عدم وجود المسرح الدرامي من خلال تحديد الدكتور عز الدين اسماعيل للعناصر المكونة له بأنها : انتفاء الصراع وتناقضات الحياة في شعور المسلم وعقله .

فالمسلم لم يحس بأن علاقته مع أية جهة علاقة صراع : سواء كانت هذه الجهة إلها ، أو مجتمعاً ، أو طبيعة .

فعلاقته مع الله علاقة خضوع واستسلام .

وعلاقته مع المجتمع علاقة تعاون وتعاضد .

---

(١) قضايا الانسان في الادب المسرحي المعاصر للدكتور عز الدين اسماعيل (ص ٤٩) .

(٢) قضايا الانسان في الادب المسرحي المعاصر للدكتور عز الدين اسماعيل (ص ٥٠) .

وعلاقته مع الطبيعة علاقة تسخير .

وكذلك ما كان يشعر المسلم بأن هناك تناقضاً في الحياة ، بل على العكس من ذلك كان يحس بالعدل في كل أمور الحياة .

كان يحس بالعدل في خلق الإنسان .

كان يحس بالعدل في مصائر الأفراد والمجتمعات .

كان يحس بالعدل في بعث الناس يوم القيامة .

إن انتفاء الصراع وتناقضات الحياة في شعور المسلم وعقله يعني بصورة أخرى : استقرار المسلم النفسي وتوازنه من جهة ، وإيجابيته مع الحياة من جهة ثانية .

ب ـ **النحت والتماثيل :**

هل عرفت حضارتنا التماثيل ؟ لا . لماذا ؟

قد نعلل عدم وجود التماثيل في حضارتنا بموقف الإسلام الصارم من الأصنام وبالتالي من التماثيل .

ج ـ **الصور والرسوم**

هل عرفت حضارتنا الصور والرسوم؟ لا. لم تعرف حضارتنا الإسلامية الصور والرسوم بمعناها التقليدي ، بل تركزت عبقرية الحضارة الإسلامية التصويرية في الخطوط .فلماذا ؟

علل بعض الدارسين ذلك تعليلات مختلفة ، أما التعليل الحق

الذي يمكن أن نفسر فيه تركز العبقرية التصويرية في حضارتنا بالخطوط فهو انعدام مشكلة الإنسان المسلم مع الكون حيث أدى هذا إلى أن تتجه الرسوم عنده وجهة عملية في تحسين ما يكتبه ويخططه .

د ـ **الشعر :**

السؤال الجوهري هو : لماذا لم يكن ثمه شعر إسلامي خلال القرون الماضية ؟ حتما نقصد بالشعر الإسلامي ، الشعر الذي يتجنن في رحم الشخصية المسلمة الحقة ، ويتغذى من رحيق العقيدة الإسلامية ، ثم يتمخض ليداً متميزاً تميز العقيدة الإسلامية يحمل خطوطها ، وشياتها ، و دها .

هذا ما نقصده بالشعر الإسلامي ، لا الشعر الذي يرد كلمة الإسلام فحسب ، لا الشعر الذي يغني المناسبات الإسلامية .

لماذا لم يكن ثمة شعر إسلامي ؟

كان العصر الجاهلي ، وكانت له قيمه ومقوماته في الفكر ، والاجتماع والدين والخلق والفن . ثم جاء الإسلام وأقام مجتمعه المتميز في كل مجال . وزالت مقومات المجتمع الجاهلي وقيمه في كل مجال ... في الفكر والاجتماع والدين والخلق .

لكن بقيت قيم الفن الشعري ، تفعل وتكوّن الشعر العربي.

وفي أوربا كان الشعر الكلاسيكي ثم جاءت الثورة الفرنسية

فبدلت قيم المجتمع الأوروبي ، فكانت الحركة الرومانسية .

ثم جاء المنهج العلمي فغير بعض نواحي الفكر والاجتماع في الغرب ، فكان المذهب الواقعي .

ثم جاء التطبيق الاشتراكي ، فكانت الواقعية الاشتراكية .

وتعاني أوروبا ـ الآن ـ ثورة في الفكر تتمثل في الجنوح السيريالي فكان المذهب السيريالي .

لماذا لم يكن ثمة شعر إسلامي خلال القرون الماضية ؟

يقتضينا تقرير الحقيقة السابقة ـ وهي عدم وجود شعر إسلامي خلال القرون الماضية ـ الوقوف لحظة سريعة أمام نوعين من الشعر هما مظنة الدخول في باب الشعر الإسلامي النوعان هما :

الأول : شعر الدفاع عن الدعوة الإسلامية الذي قيل في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام .

الثاني : الشعر الصوفي .

وسنتناول هذين النوعين بالدراسة والتفحص :

الأول ـ شعر الدفاع عن الدعوة :

ليس من شك أن القيمة الفنية لهذا الشعر متدنية ، ومن العوامل التي سببت هبوط قيمته أنه قيل بغرض الدفاع المباشر

عن الدعوة ، فحددت هذه الغرضية السريعة أسلوبه وغايته .

أما الأسلوب فجاء ميكانيكياً ،وأما الغاية فكانت الانتصار الكلامي ، ومن ثمّ فقد غيبت هذه الغرضية الدفاعية المباشرة احتمال التجلية الفنية والجهد المبدع عند الشاعر .

وتبين الدراسة الفاحصة لهذا الشعر اتفاقه الكامل في القيم الفنية مع الشعر الجاهلي ، ويصعب تمييزه عن معاصره بعد حذف الأسماء والكلمات الإسلامية ، ويمكن إدراجه ـ على هذا الاعتبار ـ في باب المديح أو الهجاء التقليديين بعد أن حل فيه المجتمع الإسلامي مكان القبيلة .

وقد نفر المجتمع الإسلامي الوليد بحسه المرهف ، وإيمانه الفتي من التقليد الشعري المنافي لمثله ومبادئه ، فقد ذكر الرواة أن المسلمين استنكروا المقدمة لأنها وصفت الخمرة ، وتغنت بها ، أما مطلع القصيدة فهو :

عفت ذات الأصابع فالجواء ... إلى عذراء منزلها خلاء

أما وصف الخمرة فهو :

إذا ما الآشربات ذكرن يوماً ... فهن لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة إن ألمنا ... إذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتتركنا ملوكاً ... وأسداً ما ينهنهنا اللقاء

الثاني ـ الشعر الصوفي :

لا تمثل النفس الصوفية التي أنتجت الشعر الصوفي خلال القرون الماضية الشخصية المسلمة كما جسدها الرسول عليه الصلاة والسلام ، وصحابته رضوان الله عليهم ، بل تحمل هذه النفس بعض الأمراض في بعض أبعادها .

وليس تحديد العوامل التي سببت هذه الأمراض مجال بحثنا الآن ، لكن يهمنا أن نقرر أن نظرة النفس الصوفية إلى الكون والحياة والإنسان ، ومشاعرها تجاه الخالق ، وعواطفها أمام الرسول ﷺ ، وسلوكها إزاء المجتمع ، لا تنطبق تمام الانطباق على ما جاء به الإسلام من نظرة ومشاعر وعواطف ، ولا توازي كل المواوة سلوك الرسول وصحابته إزاء المجتمع .بل تتقاطع في نقاط كثيرة مع هذه النظرة والمشاعر والعواطف وذلك السلوك .

وقد أدى انعدام المطابقة والموازاة ـ تلك ـ إلى انعدام الصفة الإسلامية عن الشعر الإسلامي ، فمن المسلم به أن الشخصية المسلمة ـ وليدة الانطباق والتوازي ـ أول عامل في انبثاق الشعر الإسلامي وولادته .

بعد هذا الوقوف اليسير يمكننا أن نستأنف الإجابة على السؤال السابق : لماذا لم يكن ثمة شعر إسلامي ؟

لم يكن ثمة شعر إسلامي خلال القرون الماضية لثلاثة أسباب هي :

الاول اتصاف الشخصية المسلمة بالايجابية :

تتصف الشخصية المسلمة بالإيجابية ، وقد تولدت هذه الإيجابية من تناسق عناصرها الذاتية من جهة ، وتوافقها مع ناموس الكون من جهة ثانية ، فقلل هذا التناسق والتوافق من الاحتكاك اللامجدي داخلياً وخارجياً ، وجعل مردودها الإنساني ـ دائماً ـ موجباً .

وقد وجهت هذه الإيجابية المسلم إلى البناء والتعمير والإشادة في مختلف المجالات ، فتكامل علم الحديث ، وعلا بناء الفقه ، وتقدمت نظريات الطب والفلك ، وابتكرت علوم اللغة ، وصنفت السيرة ، وترجمت الكتب الأجنبية ، وهضمت الحضارات السابقة ، واخترعت المذاهب التجريبية الخ ... مما يعرفه القاصي والداني ، ويقره العدو ـ صاغراً ـ قبل الصديق .

وقد أبعدت هذه الإيجابية المسلم عن الفن الشعري ـ كموقف سلبي ـ إزاء الكون والحياة والإنسان .

الثاني ـ استمرار القالب الجاهلي

إن خلق فن شعري جديد لا بد له من قيم فنية جديدة .

فقد استتبع استمرار قالب الشعر الجاهلي ـ عموداً وطريقة وموضوعاً وصوراً ووزناً الخ ... ـ في الحياة بعد الإسلام ، إلى تضييق مجال تجنن الشعر الإسلامي .

فقد ضغط هذا القالب الجاهلي على إبداعات الشعراء ، وأجبرهم على استلهامه شعورياً أو لا شعورياً ، وحضهم على النسج على منواله بوعي أو دون وعي .

وقد قلل رقي هذا القالب الجاهلي ـ وتقدمه من فرص انفلات الشعراء من ضغطه على حافظاتهم ، وقد بقي تراث الشعر الجاهلي سيفاً مسلطاً يحز أعناق الشعراء ، ويغلق أفواههم ، ويحد أبصارهم ، ويشد أفكارهم ، ويمنعهم من تجاوز قيمه الفنية إلى سواها .

الثالث ـ عدم الاتصال بالآداب الاخرى :

سبّب انغلاق الشعر العربي أمام تجارب الأمم الأخرى الشعرية ، سبب محاصرة القيم الشعرية الجاهلية للشاعر العربي ، وتسلطها عليه .

فلو اطلع المسلمون على شعر الأمم الأخرى كما اطلعوا على فكرهم وعلومهم وفلسفتهم ومنطقهم لتلاقحت القيم الفنية الموروثة مع الأجنبية ، ولتبرعمت قيم فنية جديدة .

هـ ـ الغناء :

عرف المجتمع الإسلامي الغناء في قرونه الماضية ، ولكن فن الغناء لا يرتبط بأزمة الذات بمقدار ما يرتبط بحاجة النفس البشرية إلى التطريب .

٥ ـ اقتصاد متفرد :

ما هي صورة المنطقة الاقتصادية في القرون الماضية ؟

وفي أي باب يمكن أن ندرج اقتصادنا ؟

وللإجابة على هذا السؤال فسنضطر إلى الاعتماد على الدراسات التي قام بها الغربيون عن اقتصاد العرب في العصور الماضية ، ثم سنناقشها لنصل منها إلى الحقيقة التي نطمئن إليها .

وسندرس اقتصادنا عند كارل ماركس ، مكسيم رودنسون جاك أوستروي .

أ ـ كارل ماركس :

يؤكد ماركس وانجلز في كتاباتهما أن التطور الاقتصادي الذي اتبعه الشرق يختلف كلياً عن أسلوب التطور الاقتصادي الذي اتبعه الغرب .

وقد أطلق ماركس (الأسلوب الآسيوي للإنتاج) على التطور الاقتصادي في الشرق ، وهو يقصد من ذلك أن مراحل التطور الاقتصادي التي اتبعها الشرق ومن ضمنه العالم الإسلامي تختلف عن مراحل التطور التي اتبعتها أوروبا من شيوعية أولى ثم رق ثم إقطاع ثم رأسمالية ثم اشتراكية .

وقد حدد ماركس وإنجلز مضمون الأسلوب الآسيوي للإنتاج بأنه : غياب الملكية الخاصة للأرض ، وحياة جماعات

قروية تعيش في حالة اكتفاء ذاتي (أو تقريباً) تحت هيمنة دولة استبدادية ، تقود الأشغال الكبرى العائدة بالنفع وتحقق هذه الدولة الوحدة للجماعات .

لكن إلياس مرقص يتساءل في كتاب (الماركسية والشرق) : ألا يتمتع العالم العربي ببعض الخصوصيات في إطار المقولة الآسيوية للإنتاج [١] ؟

يجيب بـ « نعم » . فيقول : إن ثلاثة خصائص كبيرة تبرز في التاريخ العربي الإسلامي من شأنها أن تعدل نموذج الأسلوب الآسيوي للإنتاج وهي :

أولاً : اجتماع البدو والحضر ، اجتماع بيئات إنتاجية مختلفة (وديان وأراض)مروية، هضاب مزروعة ، (سهوب وصحار).

ثانياً : موقع العالم العربي بين أوروبا وآسيا (آسيا افريقيا)، واتساع القطاع التجاري ودوره (الغامض الذي لم يوضح حتى الآن بشكل كاف) ، كدور ممكن في الحركة التاريخية ،وتعرض العالم العربي لغزوات خارجية مدمرة .

ثالثاً : على أساس هذه العوامل ذاتها ، « الآسيوية » العامة (طبيعة الإنتاج والملكية والدولية) والعربية الخاصة (الموقع ونتائجه العسكرية، واجتماع البدو والحضر) ، تبلور « الظاهرة

(١) الماركسية والشرق تأليف الياس مرقص ص ٣٢٠

الا ية » في حركة بسيطة من هبوط كبير أعقب ورافق صعوداً كبيراً . إن حركة الصعود والهبوط قد أصابت وتركزت وتجسدت في تغير الطاقة الإنتاجية وتعداد السكان ، ولم تقتصر على السطح السياسي والأمجاد والنكبات العسكرية .

ب ـ مكسيم رودنسون :

يذكر رودنسون في كتاب « الإسلام والرأسمالية » أن العامل الرئيسي في تكوين الرأسمالية هو تشكل قطاع رأسمالوي ويستعرض تاريخنا فيؤكد أن مجتمعنا الإسلامي عرف في الماضي مثل هذا القطاع ، ويطرح على ضوء ذلك سؤالاً هو : لماذا لم يعرف المجتمع الإسلامي الرأسمالية طالما أنه عرف القطاع الرأسمالوي الممهد للرأسمالية ؟

ثم يرد رودنسون بعد ذلك على (ويبر) الذي يعيد نشوء الرأسمالية في الحضارة الغربية إلى عقلانية الأوروبي ، وبالمقابل يعيد عدم نشوئها في الحضارات الأخرى إلى عدم عقلانيتها ، يرد رودنسون على هذه النظرية بحجج طويلة يثبت فيها خطل رأي ويبر .

ثم يقول رودنسون في ختام بحثه : « ليس هنالك إذن من دليل قاطع على أن دين الإسلام هو الذي منع العالم الإسلامي من أن يتجه نحو طريق الرأسمالية الحديثة » [1]

(١) الاسلام والرأسمالية مكسيم رودنسون ترجمة نزيه الحكيم (ص ١٨١)

لكن رودنسون لا يذكر الأسباب التي جعلت الرأسمالية لا تنشأ في المجتمع الإسلامي من وجهة نظره .

يتساءل رودنسون حينما يدرس البنية الاقتصادية للمجتمع الإسلامي من خلال المنظور الماركسي يتساءل : هل يمكن أن نصنفها في صيغة الإقطاعية أم الصيغة الآسيوية للإنتاج ؟

يجيب بأنه ليس هناك من طائل في أن نحاول تصنيف البنية الاقتصادية للمجتمع الإسلامي في عداد الأوضاع الإقطاعية حتى ولو أضفنا قيمة هذا التصنيف بإعطاء الإقطاعية الشرقية « خصائص » تمتاز بها عن « الإقطاعية » التقليدية النموذجية ، إقطاعية أوروبا الغربية كما فعل الموجز السوفياتي .

وهو يرفض أن يدرج الاقتصاد الإسلامي تحت عنوان الصيغة (الآسيوية) للإنتاج فيقول : « إننا فيما قبل العصر الرأسمالي إذا أردنا أن تكون لنا نظرة عالمية فأقصى ما نستطيع تمييزه هو صيغة إنتاج جماعية بدائية ، تكون بالافتراض الصيغة الوحيدة التي عرفتها الإنسانية في منشئها ، ومن بعدها تأتي صيغ للإنتاج لا حصر لها » [1]

ثم يقرر رودنسون الرأي التالي عن بنية الاقتصاد الإسلامي فيقول : « إن النظام الاقتصادي الذي كان يستند إليه المجتمع

(١) الاسلام والرأسمالية مكسيم رودنسون ترجمة نزيه الحكيم (ص ١١٧)

الإسلامي في العصر الوسيط نجد أنه اتخذ أشكالاً متغايرة وفقاً للأزمنة والأمكنة . ومن الممكن القول إنه كان يقوم على التنسيق بين صيغ إنتاج مختلفة . ففي الريف نجد جماعات قروية مستغلة من الخارج من قبل الأفراد والدولة، استغلالاً ينطبق على نموذج الجماعات الهندية التي تحدث عنها ماركس ، هذا النموذج الذي سماه « صيغة الإنتاج الآسيوية » ولكن هذه الجماعات ، أولاً ، ليست بقايا جماعات بدائية بل إن لدينا من القرائن ما يشير إلى أن أكثرها على الأقل كان نسبياً حديث التكوّن . وهي ثانياً قد تعايشت ، بنسب متحوله زماناً ومكاناً ، مع تمتع الفلاح الفردي بحق الملكية أو بحق الانتفاع على القطعة من الأرض بنية الحدود . وبالتالي ، فإن الاستغلال هنا ، أي اقتطاع الفائض يقوم به المالك الفرد أو الدولة أو ذوو الحقوق المختلفة (الجماعة أحياناً) في ظل أوضاع حقوقية مختلفة . كذلك فإن الحقوق الخاصة بالقروي العامل والخاصة بالمستغلين ذوي الحقوق كانت هي الأخرى كثيرة التنوع ، وكانت غالباً يرافقها ارتباط القروي بالعقار (أي : عبودية الأرض) كما كان يرافقها في أحيان كثيرة ـ ولا سيما في حالات البساتين والكروم ـ مفهوم للملكية قريب نسبياً من المفهوم الروماني . ومن هنا نرى أن هذا النظام غير قابل للتصنيف كوحدة : لا « آسيوياً » ولا « إقطاعياً » بل إن هناك أراضي معينة كانت في أزمنة معينة

يعمل عليها الآقنان (الموالي) كأراضي العراق في القرنين الثامن والتاسع التي شهدت ثورة الزنج الشهيرة ، هذه الحرب الأهلية التي هزت الخلافة بين عامي ٨٦٨ و٨٨٣ (ولكن هذه حالة استثنائية) كذلك العمل الزراعي المأجور ، فقد وجد منذ البداية ، ولكن قيام مشروعات زراعية رأسمالية (لا تستخدم إلا عمالاً مأجورين) كان بالتأكيد أمراً نادراً ، بل لعله لم يحدث أبداً . ولئن وجدت أحياناً بنى تشبه بنى « الإقطاعية » الأوروبية ، فهي قد وجدت في علاقات ذوي الحقوق بعضهم مع بعض أو مع الدولة . ولكن هذه كلها في جملتها ، ظواهر فوقية فحسب ، جديرة حقاً بالاهتمام ولكنها لا تغير كبير تغيير في صيغ الإنتاج نفسها وأن يكون الفلاح يدفع الأتاوة أحياناً إلى الدولة وأحياناً أخرى إلى الإقطاعي ، أمر لا يبدو أبداً في الواقع ذادلالة رئيسية . هذا إلى أن من الصعب حقاً رسم الخط الفاصل بين الحالتين ، لأن « الإقطاعي » في الشرق كثيراً ما يكون ممثلاً للدولة ، أو يكون هو الدولة .

وإلى صيغ الإنتاج الزراعية هذه ، يجب أن نضيف صيغ الإنتاج الحضرية التي سبق لنا الحديث عنها » [1]

---

(١) الاسلام والرأسمالية . مكسيم رودنسون . ترجمة نزيه الحكيم (ص ، ١١٨) .

ج ـ جاك اوستروي :

يتحدث جاك أوستروي في كتاب « الإسلام والتنمية الاقتصادية » عن أن الإسلام عامة لا يتوافق مع طرق النمو الاقتصادي الغربية ، ولا يتلاءم كذلك مع طراز الملكية الفردية الحصرية الذي دفعت إليه الرأسمالية الغربية ، ويرى في الوقت نفسه ـ أن الذهنية الإسلامية غير مواتية للتنمية الرأسمالية و ويورد في هذا المجال عدة أسباب يقسمها إلى عدة زمر هي :

أ ـ حواجز نفسية .

ب ـ عوائق اجتماعية .

ج ـ عوائق موضوعية .

د ـ عوائق ذاتية القيمة .

ويرى جاك أوستروي أن مفهوم التملك في النظام الرأسمالي يتطور حالياً نحو الوظيفية ، وهو في هذا يتقارب مع مفهوم الملكية في الإسلام ، إذ يقوم التملك في الإسلام على أساس الوظيفية .

إن آراء أوستري تبقى صحيحة في إطارها حينما يدرس النظرية الإسلامية ويقارنها بالرأسمالية ، ولكنه يخطىء عندما يعتبر المجتمع الحالي مسلماً ويدرسه على هذا الأساس .

* * *

إن العرض السابق للكتابات التي تحدثت عن اقتصادنا في

العصور الماضية يجعلنا نقول : إن اقتصادنا الإسلامي لا يدخل في إطار الإقطاعية ، ولا يدخل في إطار الصيغة الآسيوية للإنتاج ، وهو قد عرف القطاع الرأسمالوي الممهد للرأسمالية ولكنه مع ذلك لم يعرف الرأسمالية .

وهو ـ في الوقت نفسه ـ اقتصاد غني ، متنوع البنى والأشكال .

إذن يجعلنا هذا نقرر حقيقة تفرد الاقتصاد الإسلامي في بنيته ، وملامحه ، وتطوره (١)

ونحن نقدم هذه الحقيقة للذين يرغبون في أن يضعوا اقتصادنا في إطار محدد ، ثم يرغبون بعد ذلك أن يطبقوا عليه نظريات بعيدة كل البعد عن واقعه المادي .

٦ ـ امكانية التوفيق بين الدين والسياسة :

تتميز شخصيتنا الحضارية التاريخية بإمكانية التوفيق بين الدين والسياسة دون صعوبات أو تلفيقات ، وقد أبدى توينبي إعجابه بهذه الإمكانية ، واعتبرها إحدى معجزات الاسلام ، في حين أنه كانت السياسة مقتلاً تحطمت عنده ، الأديان العالمية الأخرى .

---

(١) يمكن أن تكون هذه الحقيقة سبيلاً لدراسة الملامح الخاصة للاقتصاد الاسلامي على ضوء الفكرة الاسلامية .

١ ـ التجريب :

التجريب جذر أساسي من جذور شخصيتنا الحضارية التاريخية وهو الذى قد كان النواة التي استندت إليها حضارة أوروبا في اكتشافاتها التالية . ويمكن أن ننقل في هذا المجال ما قاله « بريفولت » في كتاب « بناء الإنسانية » : « لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ، ولكن ثماره كانت بطيئة النضج ، إن العبقرية التي ولدتها ثقافة العرب في اسبانيا لم تنهض في عنفوانها إلا بعد وقت طويل على اختفاء تلك الحضارةوراء سحب الظلام ، ولميكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة . بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية . فإنه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوروبي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة ، فإن هذه المؤثرات توجدأوضح ما تكون ، وأهم ما تكون في نشأة تلك الطاقة ، التي تكون ما للعالم الحديث من قوة متمايزة ثابتة ، وفي المصدر القوي لازدهاره أي في العلوم الطبيعية ، وروح البحث العلمي » ثم يقول :

« إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مذهلة لنظريات مبتكرة ، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة

العربية بأكثر من هذا : إنه يدين لها بوجوده نفسه . فالعالمالقديم ـ كما رأينا ـ لم يكن للعلم فيه وجود . وعلم النجوم عند اليونان ورياضياتهم كانت علوماً أجنبية ، استجلبوها من خارج بلادهم وأخذوهامن سواهم ، ولمتتأقلم في يوم من الأيام ، فتمتزج امتزاجاً كلياً بالثقافة اليونانية . وقد نظم اليونان المذاهب ، وعمموا الأحكام ، ووضعوا النظريات . ولكن أساليب البحث في دأب وأناة ، وجمع المعلومات الإيجابية وتركيزها ، والمناهجالتفصيلية للعلم ، والملاحظة الدقيقة المستمرة ، والبحث التجريبي . كل ذلك كان غريباً عن المزاج اليوناني . أما ما ندعوه العلم فقد ظهر في أوروبا نتيجة لروح منالبحث جديدة ،ولطرق من الاستقصاء مستحدثة من طرق التجربة والملاحظة والمقاييس ، ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان ، وهذه الروح وتلك المناهج أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي . » (١)

ويقول أيضاً : « إن (ردجر بيكون) درس اللغة العربية والعلم العربي في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الأندلس . وليس « ردجر بيكون » ولا لسميه (فرنسيس بيكون) الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي . فلم يكن (ردجر بيكون) ، إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية .

(١) عن كتاب « تجديد التفكير الديني في الاسلام » تأليف محمد إقبال ترجمة عباس محمود (ص ١٤٩ ـ ١٥٠) .

وهو لم يل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه للغة العربية وعلوم العرب هوالطريق الوحيدللمعرفة الحقة . والمناقشات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي هي طرف من التحريف الهائـــل لأصول الحضارة الأوروبية . وقد كان منهج العرب في عصر « بيكون » قد انتشر انتشاراً واسعاً ، وانكب الناس في لهف على تحصيله في ربوع أوروبا »[1] .

* * *

(١) عن كتاب « تجديد التفكير الديني في الاسلام » تأليف محمد إقبال ترجمة عباس محمود (ص : ١٠٨) .

الشخصية الحضارية التاريخية في كتب النكسة

صدرت كتب متعددة عن النكسة ، ترصد ظاهرتها ، تحللها تعللها ، وترسم خطوات المستقبل .

ونحن سندرس ـ الآن ـ عدداً من الكتب التي تحدثت عن النكسة لنتبين إلى أي حد كانت أحكامها صحيحة ، وسنبحث بشكل رئيسي عن مدى مساهمتها في إغناء مفهوم الشخصيـــة الحضارية التاريخية الذي طرحناه في هذا الكتاب .

ونحن إذ نأسف أن كتابنا في حديثهم عن النكسة ينطلقون من موقف فكري مسبق من النكسةيميني أو يساري .فالكتابات قسمان : يمينية أو يسارية .

ونحن سنتناول كتابين لليمين وآخرين لليسار ، وبهذه الكتب الأربعة يمكننا أن نلم بأهم الأفكار التي تحدثت عن النكســة .

أما كتابا اليمين اللذان سنتناولهما فهما : أعمدة النكبة للدكتور

صلاح الدين المنجد ، والمسلمون والحرب الرابعة لزهدي الفاتح.

وكتابا اليسار هما : النقد الذاتي بعد الهزيمة للدكتور صادق جلال العظم ، من النكسة إلى الثورة للدكتور نديم البيطار .

* * *

الأول : أعمدة النكبة :

يتألف الكتاب من تمهيد وثمانية فصول وخاتمة ، أما الفصول فإنها تحمل العناوين الآتية : فقدان الإيمان ، محنة الاشتراكيات الثورية ، جهلنا ذاتنا، وجهلنا العدو ، تخلفنا العلمي ، ورم الغرور سيادة الغوغائية وفقدان الوعي الشعبي ، هزال الدبلوماسية العربية ، فقدان الدعاية العربية في المجال الدولي .

أما نقدنا للكتاب فهو :

١ ـ يعلل الدكتور صلاح الدين المنجد حدوث النكسة بعوامل متعددة هي : فقدان الإيمان ، محنة الاشتراكيات الثورية جهلنا لذاتنا وجهلنا لذات العدو الخ ... أي عناوين فصول الكتاب المذكورة في الفترة السابقة .

لكن تعليل النكسة بهذه العوامل غير صحيح ، فهي مظاهر الأزمة ، وعوارض المرض ، وليست المرض .

المرض : هو افتقادنا المجتمع العقائدي وإنسانه .

وإلا فلماذا انفقد الإيمان ؟ لماذا جهلنا ذاتنا ؟ لماذا تخلفنا علمياً ؟ الخ ...

وبالمقابل : كيف يمكن أن نفهم ذاتنا ؟ ونزيل تخلفنا العلمي ونزيل الغرور ؟ ونسترد الإيمان ؟ الخ ...

نسترد الايمان ، ونزيل تخلفنا العلمي ، ونفهم ذاتنا ، ويذهب عنا الغرور ، ويسود التعقل ، وتصلح دبلوماسيتنا ، يحدث هذا في حالة واحدة عندما يتولد عندنا المجتمع العقائدي وإنسانه .

٢ ـ تحدث الدكتور المنجد عن الانظمة الاشتراكية ، فصورها بأنها هدمت طاقات الشعب المادية والروحية ، وقيمه الأخلاقية المتوارثة ، وبأنها سلبته حريته ، وشردت طاقاته العلمية والفنية ومزقت وحدته الداخلية والعربية ، وأذهبت عنه استقراره .

ويدخل الدكتور المنجد في روع القارىء تصريحاً حيناً ، وتلميحاً حيناً آخر أن الأنظمة اليمينية السابقة للأنظمة الثورية كانت على العكس من ذلك ترفل في ثياب الإيمان والأخلاق وتغرق في بحار الاستقرار والاتحاد ، وتسبح في مياه العلم والازدهار

فهل هذه حقيقة الحال ؟ لا .

فالأنظمة اليمينية السابقة للأنظمة الثورية كانت تعاني المرض ذاته ، ومظاهره عينها من انعدام المجتمع العقائدي وإنسانه .

ولكن قد يتساءل إنسان : ألا يتناقض هذا القول مع رايات

الدين المرفوعة على هذه الأنظمة ؟

لا . لا تناقض لأن رايات الدين المرفوعة كانت إرضاءً لواقع اجتماعي لا يسلس قياده إلا بها ، وستاراً لتغطية تحويل الواقع في اتجاه الأوْرَبة اللادينية .

فقد كانت هذه الأنظمة اليمينية فاقدة الإيمان أيضاً ، جاهلة ذاتها وعدوها ، متخلفة علمياً متمزقة ، محكومة بالغوغائية .

وإلا فما الذي أوجد اسرائيل عام ١٩٤٨ ؟

من الخطأ ـ إذن ـ أن نتصور أن الخلل قد بدأ عند الأنظمة الثورية أو أنه سينتهي عندها :

إن الأزمة أعمق من ذلك فهي قد بدأت منذ أكثر من قرن ، وليست الأنظمة اليمينية والثورية إلا مراحل تخبط وتيه تعيشها المنطقة حتى تولد مجتمعها العقائدي وإنسانه .

الثاني : المسلمون والحرب الرابعة

يتألف الكتاب من ثمانية فصول ، يبدأ زهدي الفاتح الفصل الأول في الحديث عن انقلاب حسني الزعيم عام ١٩٤٩ في سورية وعن أهدافه . ويتحدث الفصل الثاني عن موقف ثورة أوكتوبر والاتحاد السوفيتي من الإسلام والشرق ، ثم عن نشأة الأحزاب الشيوعية في العالم العربي ودور اليهود فيها .

ثم يتحدث الفصل الثالث عن موقف الاتحاد السوفيتي عامة وستالين خاصة من إنشاء الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ .

ثم يتحدث في الفصل الرابع عن مشروع الشرق الأوسط الاشتراكي المتحد ، وعن الشيوعيين العرب ، أو عن آراء بعض الإسرائيليين في العلاقات السوفياتية العربية .

ثم يفرد الفصل الخامس للحديث عن سورية ، فيذكر النفوذ السوفياتي فيها ، ويذكر أسرار سقوط القنيطرة .

ثم يتحدث في الفصل السادس عن اسرائيل وركائزها العسكرية ، ويفند زيف الادعاء بالفرق بين الصهيونية واليهودية .

ثم يتحدث في الفصل السابع عن دور المسلمين في الأندلس ، وعن آثارهم العلمية ، وعن نكبتهم فيها بعد ذلك . ثم يتحدث عن نكبتنا في فلسطين ، وعن خسارتنا الحروب الثلاثة التي قامت بين أعوام ٤٨ـ٦٧ ، ثم يتساءل : متى ستقع الحرب الرابعة ؟

ثم يذكر أن الانتصار في حرب رابعة هو في عالم إسلامي متضامن متحد ، ثم يقدم سرداً لإمكانات العالم الإسلامي الاقتصادية والبشرية والجغرافية .

ويعتبر الكاتب أن مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد في أيلول عام ١٩٦٩ رحماً يحمل في جوفه سمات جنين حضاري .

يتضح من عرضنا السابق للكتاب أن الكاتب يصب غضبه

على الأنظمة اليسارية ، ويتهمها بتحمل المسؤولية . وهـذا يستدعي سؤالاً .

لماذا نبرىء الأنظمة اليمينية من وزر النكسة ؟ ألا تحمل قسطاً من مسؤولية النكسة :

يطرح الكاتب التضامن الإسلامي ـ كما هو مذكور في ملخص الكتاب ـ طريقاً للانتصار على اسرائيل في حرب رابعة ، ولكن هل يمكن أن يكون تضامن إسلامي في ظل المجتمعات الحالية والتفسخات القائمة :

الجواب : لا .

فقبل التضامن الإسلامي يجب أن تكون هناك مجتمعات إسلامية ، وهذا ما لم يتحقق حتى الآن ، وإنما الذي تحقق رفع رايات إسلامية على بعض المجتمعات ، ومناداة بشعارات إسلامية ومتاجرة بعواطف إسلامية .

لذلك فتفاؤل الكاتب من مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد في عام ١٩٦٩ ، ومن أنه يحمل سمات جنين حضاري جديد لا محل له .

فهذا المؤتمر لا يعدو فقاعة سياسية تستهلك بعض عواطف المنطقة ، وتأوهاتها ، وذلك لأن الركيزة الأساسية التي يجب أن تقوم عليها مثل هذه المؤتمرات حتى تعطي ثماراً حقيقية هي المجتمع الإسلامي وإنسانه ، وهذه الركيزة لما تستكمل

وجودها بعد .

إن التضامن الإسلامي في حالة فقدان المجتمع الإسلامي العقائدي وإنسانه لايعدوجمع متناقضات لا تؤدي إلى نتيجة ، ولا تعطي دفعاً .

* * *

خلاصة آراء اليمين :

١ ـ يظن اليمين أن أزمة مجتمعنا بدأت منذ تسلم الأنظمة الثورية السلطة ، لكن الحقيقة أن الأزمة بدأت قبل ذلك بفترة طويلة ، وكلا النظامين اليميني والثوري وجهان لها .

٢ ـ يتصور اليمين المخرج من النكسة بالتضامن الإسلامي أو ببعض الإصلاحات الجزئية المتفرقة ، ولكنه واهم في ذلك ومخطىء .

لن يتم الانتصار إلا من خلال توليد مجتمع عقائدي جديد يقوده إنسان عقائدي جديد .

الثالث : النقد الذاتي بعد الهزيمة :

ينقل الدكتور صادق جلال العظم في الفقرة الثانية من كتابه أقوال بعض الكتاب العرب توضح السبل التي سلكناها في إزاحة المسؤولية عن أنفسنا وتنظيماتنا وواقعنا ، فيذكر أن بعضهم اعتبر حرب حزيران عدواناً اعتمد على عنصر

الغدر والمفاجأة.

ثم يناقش هذا التعليل ، ويرى أنه يجب أن لا يقال مثل هذا الكلام طالما أننا في حالة حرب مستمرة مع إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ ، ولا مجال لاعتبار الحرب الأخيرة غدراً إلا إذا قسنا الصراع بيننا وبين العدو الإسرائيلي بمعايير الفروسية حيث يفترض أن تتكافأ الفرص والأسلحة بين الخصمين .

ويعتبر الكاتب أن التعلل بغدر اليهود ليس إلا محاولة هزيلة لإزاحة المسؤولية عن النفس ، ثم يتحدث عن الارتباطات القبلية والعائلية وأثرها على عقلية العربي وأنماط سلوكه .

ثم ينتقل إلى مظهر آخر من مظاهر إزاحة المسؤولية عن النفس فيقول : « يصعب علينا أن نجد تقصيراً أو عجزاً أو خطأ كشفته حرب حزيران في التنظيم والاستعداد والتخطيط العربي لم ينسبه بعض العرب إلى الاستعمار والامبرياليه الدولية ، وكثيرون هم الذين أزاحوا المسؤولية في الهزيمة عن أنفسهم بإسقاطها جملة وتفصيلاً على الاستعمار »[1] .

ثم يعرض أسلوباً آخر من أساليب تبرير الهزيمة وإسقاطها على الغير بأنه لو اتخذت القاهرة زمام المبادرة في بدء المعركة وقصفت سلاح الطيران الإسرائيلي لانعكست الآية وانتصر العرب.

يفند الدكتور العظم هذا الرأي فيتساءل : « هل يجوز لنا

(١) النقد الذاتي بعد الهزيمة (ص ، ٣٨) .

أن نفترض بعد أن عرفنا ما عرفناه عن الحرب أن الطيران العربي كان في مستوى من الفعالية تسمح له بأن ينفذ خطة الهجوم بالدقة والإحكام والسرعة التي اتصفت بها الطائرات الإسرائيلية في هجومها على مطارات الجمهورية العربية المتحدة[1]؟

ثم يعرض علامة أخرى من علامات أوهام التبرير وهي الصراخ المستمر بأن اسرائيل انتهكت الأعراض وخرقت حرمة المساجد ، وسرقت تاجاً ثميناً ، ويرى في التهوين من العدو إهانة لنا .

ثم يذكر تعليلاً ينسب الهزائم العربية المتلاحقة في وجه إسرائيل إلى السيطرة الصهيونية على العالم بأسره ، وعلى مجرى التاريخ الحديث برمته ، ويناقش هذه ويخطئها ، ويرى فيها تبريراً لجرائم الغرب في تعاونه مع إسرائيل وكذلك أمريكا .

ثم يعلل الدكتور العظم في الفقرة الثالثة نزعة إزاحة المسؤولية عن النفس بعوامل تدخل في بنيان المجتمع العربي التقليدي ولا تنفصل عن خصائص الشخصية الاجتماعية التي تربيها البيئة العربية المتوارثة ، ثم يربط ظاهرة المنطق التبريري العربي بنمط معين من السلوك الاجتماعي المنبثق عن « الشخصية الفهلوية » .

(١) النقد الذاتي بعد الهزيمة (ص ، ٤٥) .

ثم يبين خصائص هذه « الشخصية الفهلوية » فيذكر منها : البحث المستمر عن أقصر الطرق وأسرعها لتحقيق هدف معين ، الحماس المفاجىء والاقدام العنيف والاستهانة بالصعاب في أول الطريق ثم انطفاء وفتور الهمة بعدذلك المغالاةفي تأكيد الذات، الشعور بالنقص تجاه الآخرين لذلك فهي تكرهالعمل الجماعي .

ثم يتحدث في الفقرة الرابعة عن النموذج الفيتنامي فيالقتال موضحاً أن تجارب النضال الشعبي لا تنتقل بصورة آلية من بلد إلى آخر ، بل يجب أن تطور الحركة الشعبية أساليبها على ضوء تجارب غيرها . ثم يبين أن فيتنام قد نجحت إلى حد كبير في التغلب على التخلف وخاصة على أنماط السلوك التقليدية البطيئة.

ثم يوضح في الفقرة الخامسة أهمية العلم ودوره ، وأن الرد الصحيح على عدونا الذي يحصل على المعدات ليس جلب معدات وآلات مقابلها فقط ، إنما هو بالإضافة إلى هذا تكوين نوعية معينة من العقلية والنفسية والثقافية تتناسب مع هذة الآلات .

ثم يذكر أن الجيوش العربية ما كانت تعوزها المعدات حينما قاتلت ، ولكن كان يعوزها العنصر البشري القادر المدرب .

ثم يتحدث عن انعدام المؤسسات العلمية المنتجة في بلادنا ويؤكد على ضرورتها .

ثم ينتقل في الفقرة السادسة إلى الحديث عن الخط الثوري العربي الاشتراكي فينتقده بأنه لم يكن ثورياً ولا اشتراكياً بما

فيه الكفاية ، ويأخذ على الثورة العربية أنها لم تعلن عن علمية اشتراكيتها ، ويطلب إليها أن تخرج من دوامة الوسطية ، ثم يتحدث عن إهمال الثورة العربية لقضية المرأة وعدم معالجتها الجذرية لها .

لقد أصاب الدكتور العظم حينما تحدث عن سبب الانهزام في حرب حزيران بأنه الأمراض التي تنتاب مجتمعنا ومن جملتها إزاحة المسؤولية عن النفس وإلقاؤها على الآخرين .

وقد أصاب حينما تحدث عن حاجتنا إلى العنصر البشري في القتال وليس إلى المعدات وحينما أبرز أهمية العنصر العقلي والنفسي والثقافي في صراعنا مع إسرائيل .

أصاب لأنه صور الطريق الصحيح للانتصار على اسرائيل.

لكنه أخطأحينما تصورأن وسطيةالثورةالعربية هي المسؤولة عن استمرار هذه الأمراض وأن التطرف الاشتراكي العلميمكن أن يزيل هذه الأمراض ، ويولّد الإنسان العربي المعافى .

فهل صحيح أن التطرف الاشتراكي يمكن أن يبرىء أمتنا من أمراضها ؟

لا . فليس الذي ينجح الأفكار اعتدالها أو تطرفها . إنما ينجحها عاملان : صحتها من جهة ، وملاءمتها لواقع الحال من جهة ثانية .

فهل هنالك شك في أن الأحزاب الشيوعية حملت الماركسية العلمية ؟

وهل هنالك شك في أنها هدفت إلى توليد المجتمع الاشتراكي وإنسانه ؟

الجواب : لا . وماذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة فشلها ، وكانت النتيجة ـ أيضاً ـ سيادة الاتجاه الاشتراكي الوسطي . والسؤال المطروح الآن :

لماذا ساد الاتجاه الاشتراكي الوسطي ؟

يذكر تاريخ التطبيق الاشتراكي في المنطقة أن عبد الناصر اعتمد اعتماداً كبيراً على الدين في إقناع الناس بخطواته الاشتراكية وخير دليل على ذلك فتاوى الأزهر في هذا المجال ، والطبعات الشعبية للكتاب « اشتراكية الإسلام » للدكتور مصطفى السباعي ، وهذا ما أدى إلى نجاحه في حين فشل غيره . والسؤال المطروح الآن :

لماذا لم تدخل الاشتراكية إلى المنطقة ، أو بالأحرى لماذا لم تقبلها المنطقة إلا من خلال الدين ؟

إننا نعتقد أن الشخصية الحضارية التاريخية هي العامل المسؤول عن الاتجاه الوسطي للاشتراكية وهي التي جعلت الاشتراكية تدخل إلى المنطقة من خلال الدين .

الرابع : من النكسة إلى الثورة :

يصور الدكتور نديم البيطار واقعنا فيبين أن فيه أربعة انحرافات أدت إلى النكسة وهي : الانحراف الفكري ، والايديولوجي ، والذاتي ، والاستراتيجي ، ويمثل على هذه الانحرافات الأربعة بنماذج يختارها من الكتابات المعاصرة .

ونحن سنحاول ـ الآن ـ أن نلخص هذه الانحرافات حسبما وردت في كتاب الدكتور البيطار بشكل سريع وموجز .

يبدأ الدكتور البيطار بتعريف الانحراف الفكري فيقول : « هذا الانحراف الفكري يعني أن الفكر العربي الثوري هو فكر يعتمد العبارات المنمقة ، والتخريجات اللفظية ، والكلمات الطنّانة والشعارات ، وليس وقائع الاجتماع وظواهر التاريخ والقوانين التي تسودها » (١) .

ثم يحدد بالمقابل صفات الفكر الثوري السوي فيقول : « إنه فكر يعي قوى التاريخ الفاعلة في المرحلة التي يعانيها ، ويعبر عنها ليس على ذاك أو هذا الصعيد فقط ، بل عليها كلها ، ويحقق درجة من الإدراك يستطيع بها أن يتلمس الاتجاهات الأساسية التي تكابدها المرحلة في طبيعتها العامة . إنه ينطلق من واقع هذه الاتجاهات ، ويربط بينها وبين أي عمل يقوم به أو أي تحول

(١) من النكسة إلى الثورة . للدكتور البيطار (ص ، ٢٧) .

ثوري يعمل له » [1] :

ويضع في مقابل الفكر الثوري، الفكر التبشيري ، ويذكر عدداً من صفات هذا الفكر التبشيري منها : أن الفكر الاخلاقي التبشيري يحكم على عنصر الخير والشر في كل شيء ينظر إليه بشكل مطلق ، ومنها أنه يخلق تصورات وتجريدات لا تمثل الواقع ، ومنها أنه لا يجزيء موضوعه فقط ، بل ينظر إليه كشيء ثابت جامد ، غير متحرك أو متحول .

ثم يذكر في نهاية بحثه ميزات الفكر الثوري المتكامل وهي:

« أولاً : إنه يرى أن الفرد لا يستطيع أن يدرك مشاكله أو موقعه في المجتمع دون أن يدرك موقعه من التاريخ الذي يحيط به . لذلك كان دائماً يحاول فهم طبيعة التاريخ وطبيعة المرحلة التي يعانيها .

ثانياً : إنه يحاول الكشف عن طبيعة مجتمعه « ككل » فيتساءل باستمرار عن الخصائص العامة التي تميزه عن الطابع الخاص الذي يشكل وحدته ، عن العناصر التي تتركب منها هذه الوحدة الخ ...

ثالثاً : إنه يقارن بين المجتمع الذي يهتم به ، وبين مجتمعات أخرى وخصوصاً في مراحل متشابهة .

---

(١) من النكسة إلى الثورة . للدكتور البيطار (ص ، ٢٨) ،

رابعاً : إنه كان يحاول الكشف في قوانين التاريخ في مجراه العام ، أو قوانين المرحلة المعينة التي يعانيها ، كي يحدد على ضوئها المصير الذي يرقبه ، فيوسع في نطاق الحرية أو الإرادة الثورية وفعاليتها في تحديد مصيرها .

خامساً : إنه كان يعين طبيعة ونوع الطبقة الحاكمة ، يكشف عن القوى والمتناقضات التي تنكر سيادتها ، ويوفر الأدلة والتبريرات على ضرورة الخروج من وعلى سيادتها ، نقض هذه السيادة وإلغائها .

سادساً : إنه كان يقدم ايديولوجية أي فلسفة حياة عامة حول التاريخ ، تعطيه معنى ، ويدعو إلى مجتمع جديد يحقق ذلك المعنى ويكون امتداداً له . » [1]

ويفسر الدكتور البيطار عجز الفكر العربي وقصوره في عدم قدرته الخروج على الإيديولوجية التقليدية الغيبية .

ثم يمثل في الفصل الثاني على الانحراف الفكري بكتابات بعض المؤلفين وبعض الأحزاب عن النكسة .

ثم يتحدث الدكتور البيطار في الفصل الثالث عن الإنحراف الايديولوجي ، فيبين أهمية الإيديولوجية ، وضرورتها في هذه المرحلة الانتقالية من حياتنا .

---

(١) من النكسة إلى الثورة . للدكتور البيطار (ص ، ٤٦) وما بعدها

ثم يعتبر الدكتور البيطار أن أية دراسة عن النكبة تبقى هامشية وارتجالية إن هي أغفلت دور الإيديولوجية الغيبية التي تسود ذلك الوجود .

ثم يتحدث عن العوامل التي تساعد على توليد إيديولوجية جديدة تنهي مفعول الإيديولوجية الغيبية في الواقع .

ثم يبين الدكتور تناقضاً رئيسياً تحياه دنيا العرب وهو : أننا نأخذ من الحضارة الغربية وسائلها التطبيقية دون أن يرافق ذلك ما رافقها في الغرب من عقلية علمانية .

ثم يتحدث الدكتور البيطار عن انحسار دور الإيديولوجية الغيبية ، وعن تغير الأوضاع التي رافقت نشوءها واستمرارها ثم عن تحجرها وانغلاقها .

ويستعرض بعد ذلك الأدوار التي تمر بها الإيديولوجية بشكل عام ويؤكد أن الإيديولوجيات الغيبية أصبحت جانبية وهامشية تعمل خارج مجرى التاريخ ، ولكنه يعترف بصعوبة إزالة التصوير الإيديولوجي التقليدي الغيبي من النفوس ، لكنه يعتبر أن الرجوع إلى هذه الإيديولوجية الغيبية مضيعة للوقت .

ثم يمثل على الانحراف الإيديولوجي في الفصل الرابع بكتاب بعض المفكرين العرب، وسياسييهم ؟ ثورييهم ورجعييهم .

ثم يستعرض موقف ثوريي الغرب من الدين فيقول : إنهم قد أدركوا أن الثورة تعني تحرير المجتمع من الدين ، ثم يأخذ على الثوريين العرب موقفهم المستخذي تجاه الإيديولوجية الغيبية ، وعدم صراحتهم في خصومتها ومعاداتها . وينعي على الأحزاب الشيوعية عدم جسارتها في مهاجمة عناصر التجميد التي ينطوي عليها التقليد الإسلامي ، ويبين للماركسيين أن القصد الأول للماركسية هو إنشاء مجتمع لا تكون فيه أية حاجة للدين يتحرر فيه الإنسان نهائياً من هذا الأفيون كما وصفه ماركس . ثم ينقل أقوالاً من لينين وستالين وماوتسي تونغ تدعم وجهة نظره.

ثم يذكر الدكتور البيطار الثوريين العرب بأنه قد فشلت محاولات التجديد التي اقتصرت على اقتباس تقنية الغرب وعلمه دون نسف الإيديولوجية الغيبية واعتماد ايديولوجية جديدة كما حدث في روسيا والصين والهند في القرن التاسع عشر ، في حين أن محاولات التجديد قد نجحت في اليابان حين اعتمدت أدياناً جديدة .

ثم يذكر الدكتور البيطار أن جميع الحركات السياسية الدينية كانت رجعية تسعى إلى تجميد أي تحول اجتماعي حضاري : وتواطأت مع الاستعمار الغربي ، ثم يقرر بأن القطر بقدر ما يزيد قربه من الدين تزيد رجعيته وجموده ،وبأن

الانتصارات التي أحرزتها الأمة العربية ضد الاستعمار كانت باسم القومية العربية وليس الدين .

ثم ينتقل البيطار في الفصل الخامس إلى الحديث عن الانحراف الذاتي ، فيحدد مفهوم الذات ، ويقرر أن الذات ليست جوهراً ثابتاً ، بل هي علاقة معينة يعانيها الفرد مع الأوضاع الخارجية التي تحيط به ، ثم يبرز دور الفكر الثوري في تطوير الإنسان، ودور التحدي في شحذ همته .

ثم يحدد معالم شخصيته الانقلابي بأنه هو الذي يصنع التاريخ ويتحدث عن حاجة الإنسان العربي إلى الإيديولوجية كي يجنب ذاته التفتت والتشتت .

ويمثل الدكتور البيطار في الفصل السادس على الانحراف الذاتي بقول الماركسيين العرب إن التحولات الموضوعية الخارجية تقود في ذاتها إلى تحقيق المقاصد الثورية ، ويبرز مظهراً آخر من الانحراف الذاتي هو التناقض بين المفهوم الثوري وبين السلوك الثوري ، ويفصل في جزئياته ، ثم يحدد الطريق إلى تصحيح مفاهيم الحركة العربية الثورية بأنه : الصراع .

ثم يتحدث في الفصل السابع عن الانحراف الاستراتيجي ويبين أنه يترتب على الانحرافات السابقة ، ويدعو إلى الإسراع بتحقيق دولة واحدة بين الأقطار العربية الثورية .

نحن لن نقف في ردنا على الدكتور البيطار عند النقاط الجزئية التي احتواها الكتاب ، ولكننا سنقف عند الفكرة الرئيسية التي يحتويها ، ويؤكد عليها ، ويتفنن في الإلحاح عليها .

هذه الفكرة الرئيسية هي : أن هناك مجتمعاً تقليدياً غيبياً يجب تحطيمه للوصول إلى مجتمع سليم متماسك ، ويعتبر أن مثل هذا التحطيم أساسي وضروري ويأخذ على الكتاب الآخرين والدعوات الثورية الأخرى عدم انطلاقهم من هذه النقطة بالذات ويطلب منهم أن يجهروا ويرفعوا أصواتهم بمثل دعوته .

أما الربط بين الوجود التقليدي وبين الانحرافات فهذا أمر صحيح .

أما اعتبار هذا الوجود انعكاساً للدين الإسلامي فهذا أمر غير صحيح ، لأن الدين الإسلامي لا يقر صورة الواقع تلك ، ويدعو إلى تغييرها ، وقد يكون الابتعاد عن الدين هو أحد العوامل الأساسية في صورة انحراف واقع المجتمع .

أما ظنه بأن دعوته إلى تحطيم الوجود التقليدي كانت بدعاً في الدعوات فهذا جهل وخطأ .

لأن رجالاً كثيرين قد دعوا إلى مثل ما دعا إليه نذكر منهم : ميشيل عفلق ، سلامة موسى ، جورج حبش ، طه حسين ، أحمد لطفي السيد ، الخ ....

أما أشتراطه لنجاح هذه الدعوات في تثبيت نظرياتها وأفكارها أن تجهر بتحطيم الوجود التقليدي وتسعى إلى ذلك كما وقع في كل من اليابان والصين ؛ فهذا أمر صحيح .

وبالفعل فقد جهرت جميع الدعوات التي عرفتها المنطقة منذ مائة سنة من : قومية أو ديمقراطية أورأسمالية أو ماركسية أو وجودية الخ ... جهرت بضرورة تحطيم الوجود التقليدي ، وسعت إلى ذلك .

لكن السؤال الجوهري : لماذا لم تستطع هذه الدعوات أن تغير الواقع باتجاه أفكارها ومثلها ؟

السبب في ذلك هو : الشخصية الحضارية التاريخية .

لماذا لم تسلم الشخصية الحضارية التاريخية قيادها لهذه الدعوات؟

السبب في ذلك أنه لا يمكن أن تسلم قيادها إلا للدعوة الإسلامية .

* * *

خلاصة آراء اليسار :

١ ـ كان تشخيص اليسار لأزمة مجتمعنا أعمق من اليمين ، وهو قد أصاب في بعض جوانب تشخيصه ذاك حيث أعاد الأزمة إلى عواملها الاجتماعية والإنسانية .

٢ ـ لكنه أخطأ عندما ظن بأن المخرج من النكسة هو التطرف أو الماركسية ، أو الانقلابية . أخطأ لسبب بسيط هو أن هذه الأدوات ليست جديدة على واقعنا ، بل هي مطروحة منذ فترة طويلة .

وقع في هذا الخطأ لأنه لم يتنبه إلى خصوصيات واقعنا ، إلى شخصيتا الحضارية التاريخية .

مواقف أمريكا وروسيا من الشخصية الحضارية التاريخيـة

بعد أن قومنا رصيد الشخصية الحضارية التاريخية في كتابات اليمين واليسار حول النكسة ، ننتقل الآن لرصد موقف الدولتين العظيمتين من هذه الشخصية الحضارية التاريخية .

أ ـ أمريكا :

إذا أردنا تحديد موقف أمريكا من الشخصية الحضـــارية التاريخية ، فلا بد لنا من استعراض علاقتنا بالغرب عامة ، لأن علاقة أمريكا بعالمنا وراثة للغرب من جهة واستمرار له من جهة ثانية : وراثة في السياسة ، واستمرار في الثقافة والحضارة .

لقد بدأ احتكاك المنطقة العربية وتأثرها بأوروبا في القرن التاسع عشر ، وخاصة منذ استيلاء محمد علي باشا على حكم مصر عام ١٨٠٢ ، حيث أوفد البعوث العسكرية إلى إيطاليا وفرنسا واستقدم الخبراء والفنيين .

وكان الخلفاء العثمانيون قد فكروا في القرن التاسع عشر في تطوير حكوماتهم وجيوشهم اقتداء بالغرب ، فأدخـلوا بعض المؤسسات الشورية الجديدة ، وأول خطوة اتخـــذت في مجال المؤسسات الشورية كانت عام ١٨٠٨ حيث دعا الوزير بيرقدار مصطفى باشا لاجتماع حضره الأشراف وأعيان المقاطعات وبعد مفاوضات وقعوا على اتفاقية للعمل .

وكانت ذروة الاحتكاك بالحضارة الغربية في المنطقة العربية بعد الاستعمار الانكليزي لمصر عام ١٨٨٢ ، حيث بدأت التجربة الديمقراطية التي أثمرت عن ثورة سعد زغلول عام ١٩١٩ .

وكانت أطراف البـلاد العربية قد استعمرت قبل ذلك من دول الغرب ، فقد احتلت انكلترا عدن في منتصف القرن التاسع ، واحتلت فرنسا الجزائر ثم مراكش ، واحتلت إيطاليا ليبيا .

ثم قامت الحرب العالمية الأولى ودخلتها تركيا إلى جانب ألمانيا ، ثم خسرتاها ، فاقتسمت انكلترا وفرنسا بـــلاد الشام والعـراق : فانتدبت انكلترا على فلسطين والعراق والأردن ، وانتدبت فرنسا على سورية ولبنان .

إذن لم تنتهِ الحرب العالمية الأولى حتى كانت جميع البـلاد العربية مستعمرة — تقريباً — من قبل الانكليز والفرنسيين ، وبالتالي أتاح لها هذا الاستعمار احتكاكاً حضاريـــاً بالغرب ،

وتأثراً به ، وتفاعلاً معه .

واستمر هذا التفاعل بين الحربين العالميتين يرافقه صراع تجلى بثورات ضد المستعمر الأجنبي شملت كل البلاد العربية تقريباً بدءاً من العراق في الشرق ، وانتهاء بمراكش في الغرب .

ثم وقعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، وانتقلت انكلترا وفرنسا بعدها إلى مصاف دول الدرجة الثانية ، فبدأ استقلال الدول العربية يجري تباعاً .

وكانت فترة الاستعمار قد تركت بصماتها على صورة المنطقة ، وأثرت القيم الغربية في مختلف مجالات الحياة : فكراً ، وعادات ، وتقاليد الخ ... أو قل إنها هزت المنطقة هزاً عنيفاً .

كانت هذه صورة المنطقة العربية — إذن — في نهاية الحرب العالمية الثانية .

ثم جاءت نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ لتؤججها بالحقد على الغرب وعلى سياسته .

دخلت أمريكا المنطقة العربية بعد الحرب العالمية الثانية ، واحتكت بها في هذا الجو : في جو الحقد الجارف على الغرب بسبب قيام اسرائيل ، وفي جو فشل المؤسسات الديمقراطية الغربية .

لذلك كان على أمريكا بسبب وراثتها للغرب حضارياً

وسياسياً ، وانطلاقاً من الظروف التي وجدت المنطقة بها أن تحدد أهدافها التي يمكن أن نستنتجها ونحددها بما يلي :

١ — المحافظة على إسرائيل .

٢ — ربط المنطقة سياسياً بأمريكا .

٣ — استغلال المنطقة اقتصاديا .

٤ — ربط المنطقة بالغرب حضارياً ، وتنفيذ ما فشلت بريطانيا فيه .

وبالفعل فقد حدد « مايلز كوبلاند » في كتاب « لعبة الأمم » أهداف أمريكا في عام ١٩٤٧ بما يلي :

١ — منع المنازعات الإقليمية التي يمكن أن نتورط فيها نحن والاتحاد السوفييتي ، والتي من شأنها على هذا الوجه ، أن تحول الحرب الباردة بيننا وبينه الى حرب ساحقة .

٢ — تمكين حكومات المنطقة من أن تتقوى سياسياً وعسكرياً ، حتى تساهم في جهود العالم الحر لمقاومة تغلغل الشيوعية الدولية .

٣ — إيجاد الظروف التي تشجع رأس المال الأمريكي في ميادين الاستثمارات التجارية [1] .

---

(١) « ص ، ٣٣ س ٢٦ وما بعده » من الطبعة الأجنبية .

وبالمقارنة بين ما استنتجناه من أهداف أمريكا من خلال تحليلنا لظروف المنطقة ، وبين ما رسمه كوبلاند ، نجد التشابه قوياً، وإن كانت ظروف كوبلاند الرسمية وعلاقته بالاستخبارات الأمريكية تجعله يغلف كلامه بثوب من الدبلوماسية والتمويه .

فماذا فعلت أمريكا بخصوص كل هدف من الأهداف السابقة ؟

– بالنسبة للهدف الأول : أعطت أمريكا اسرائيل ضمانات دولية بالمحافظة عليها ، وأمدتها بالأقوال التي تدعم اقتصادها ، وبالأسلحة التي تمكنها من التغلب على العرب مجتمعين .

– بالنسبة للهدف الثاني : طاردت أمريكا النفوذين الفرنسي والانكليزي كي تخلص المنطقة لها .

– بالنسبة للهدف الثالث : حافظت أمريكا على استثماراتها البترولية التي كانت قد حصلت عليها بين الحربين .

– بالنسبة للهدف الرابع: سمحت أمريكا للفكر الاشتراكي الماركسي أن يتغلغل في المنطقة ، وقد قصدت من ذلك أن تفتت شخصيتنا الحضارية التاريخية .

وما زالت الأهداف التي استنتجناها أو التي حددها مايلز كوبلاند لأمريكا في عام ١٩٤٧ ، ما زالت محركة للسياسة الأمريكية في وقتنا الحاضر ، فقد أدلى مسؤول في وزارة

الخارجية الأمريكية في مطلع عام ١٩٦٤ بتصريح بيّن فيه أن أهداف أمريكا في عهد جونسون استمرار للأهداف التي رسمها جون كنيدي بخصوص الشرق الأوسط وهي :

١ – حماية كيان اسرائيل .

٢ – تأمين استمرار تدفق البترول .

٣ – ضمان حرية المواصلات إلى الشرق الأقصى .

٤ – الحيلولة دون التغلغل الشيوعي السوفييتي في المنطقة .

٥ – تطوير المنطقة اجتماعياً .

فهذا التصريح وضّح بعض الجمل في أهداف أمريكا الاقتصادية من جهة أو بيّن بجلاء أن أمريكا تهدف إلى تطوير المنطقة اجتماعياً وهو التعبير الملطف عن تفتيت شخصيتنا الحضارية التاريخية من جهة ثانية ، حيث سيمكن – بعد ذلك – ربط الأمة حضارياً بالغرب .

وطالما أننا نتحدث عن موقف أمريكا من الشخصية الحضارية التاريخية ، فلا بد لنا من أن نتساءل عن موقف أمريكا من أكبر أعداء شخصيتنا الحضارية التاريخية الا وهي اسرائيل: ما حقيقة العلاقة بينهما ؟

هل هي علاقة ندين يستفيدان من تعاونهما ؟

هل هي علاقة المستغَلّ من اسرائيل ؟

أم علاقة المستغِل لاسرائيل ؟

إن طبيعة العلاقة الاقتصادية بين اسرائيل وامريكا هي التي تحدّد الجواب على الأسئلة السابقة .

فأمريكا دوله استعمارية ، وتبني علاقة الاستعمار بالدول التابعة له على الاستغلال الاقتصادي إن لم يكن النهب . فماذا تقول الأرقام في مجال التعاون والتبادل الاقتصاديين بين امريكا واسرائيل ؟

ذكر كتاب دولة اسرائيل لـ (جالينا نيكيتينيا) الحجم العام لرؤوس الأموال ومصادر التمويل المستجلبة لاسرائيل في الفترة من ١٥ أيار ٤٨ إلى مارس ١٩٥٧ (بالمليون دولار) .

« تبرعات المنظمات اليهودية الأمريكية وغيرهامن المنظمات اليهودية	٦٥٦
لمعونة الأمريكية وقروض بنك التصدير والاستيراد	٤٠٥
تعويضات المانيا الغربية	٣٠٤
التعويضات التي دفعتها ألمانيا الغربية لبعض المواطنين الاسرائيليين	٦٠
قيمة سندات إسرائيل	٢٣٢
التصفية خارج الحدود للأوراق المالية ذات القيمة الكبيرة	١٥٠

قروض أجنبية مختلفة طويلة الآجل	١٩
قروض أجنبية متوسطة وقصيرة الأجل	٧
تشغيل رؤوس الأموال المجتذبة إلى اسرائيل	١٤٧
الأموال والممتلكات الشخصية للمهاجرين	٤٩
تحويلات نقدية أخرى أو على هيئة بضائع	٢٣٩
رؤوس أموال وافدة على غير الوجوه السابقة وذكر المجموع الكتاب أيضاً بعض المعلومات	٣٨٣
الأخرى عن المعونات الأمريكية فقال :	٢٥٥١ (١)

« ويبلغ نصيب الولايات المتحدة الأمريكية بما في ذلك المعونات المجانية والقروض والتبرعات والاستثمارات الخارجية بما لا يقل عن ثلثي المبلغ الذي حصلت عليه إسرائيل من وراء الحدود في العشر سنوات الأولى .

وحسب ما جاء بتقدير الكونجرس الخاص ببرنامج الأمن المتبادل الصادر في ٣٠ يونيو سنة ١٩٥٤ **فان نصف الميزانية الاسرائيلية تقريباً يمول بالمساعدات الأمريكية** .

وطبقاً لإحصاءات السياسية فإن الدخل القومي لإسرائيل في الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٦ يوازي ثماني مليارات جنيه اسرائيلي

(١) دولة اسرائيل (ص ، ١٨٤).

أو ٤٫٤ مليار دولار . وتشكل رؤوس الأموال الوافدة من هذا الدخل في الفترة نفسها ٥٧ ٪ .

وبلغت قيمة رؤوس الأمـــوال المستثمرة في الاقتصاد الاسرائيلي في الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٧ ١٫٩ مليار دولار أي (٣٫٥ مليار ليرة اسرائيلية) . وإذا أخذنا بعين الاعتبـار أن رؤوس الأموال الوافدة قد بلغت في نفس الفترة مليارين ونصف مليار دولار ، نجد ان المصادر الأجنبيـــة قد غطت معظم الاحتياجات الأساسية لتطوير اقتصاد اسرائيل . حتى ليقدرأن قيمة رؤوس الأموال الصافية والوافدة بالنسبة للفرد الواحد في اسرائيل بمبلغ ٢٢٩ دولار في الفترة المذكـورة هذا في الوقت الذي يبلغ فيه الدخل السنوي للفرد بالنسبة لثلثي سكان العالم الرأسمالي مائتي دولار حسب تقديرات الأمم المتحدة .

وطبقاً لتقديرات الأمم المتحدة ايضاً ، وصل الادخار المحلي في اسرائيل عام ١٩٥١ (١٧٪) من القيمة الخالصة للاستثمارات ، أما بقية الأموال فقد وردت من وراء الحـدود وبالأخص من أمريكا [١] .

وقد تحدث الكاتب « يوري ايفانوف » في كتاب « احذروا الصهيونية » عن مصادر الرساميل الأجنبية المتدفقة على اسرائيل ونسبتها المئوية ما بين ٤٨ — ٥٩ فقال (ص ١٢٦) : « تشكل

١ — دولة اسرائيل (ص ، ١٨٤ — ١٨٥) .

حصة الولايات المتحـــدة (قروض بنك الاستيراد والتصدير ومساعدات فائض الانتاج الزراعي) ٥٥٧٫٣ مليون دولار أو ١٦٫٣ ٪ ، والمجهود اليهودي وغالبيته من الولايات المتحـــدة الأمريكية ٤٤٨٫٧ مليون دولار أي ٢٥٪ ، والسندات الحكومية الموظفة بشكل رئيسي في الولايات المتحدة ٣٣٤٫٦ مليون دولار أو ١٠ ٪ ، ثم قروض المصارف الأجنبية والرأسمال الخاص ومصدرها الرئيسي الولايات المتحدة وفرنسا ٧٧٠٫١ مليون دولار أو ٢٢٫٧ ٪ ، أما حصة ألمانيا الغربية فتشكل ٧٢٥٫٣ مليون دولار أو ٢١٫٤ ٪ .

وبالإجمالي فإن مجموع هذه المساعدات يشكل ٣ مليارات و ٣٨٦ . وإذا ما أخذنا النصف الأول من عام ١٩٦٠ ، عندما كانت الأموال غير المنقولة للعرب ٥٦٠ مليوناً من الدولارات ، كان مجموع الرساميل على طول ١٢ عاماً يشكل ٤ مليارات و ١٠٠ مليون دولار ، أو ٣٤٠ مليون دولار في العام الواحد أو زهاء مليون دولار في اليوم [١] .

وقد انتبهت المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتسبن) إلى تفرد العلاقة بين أمريكا واسرائيل وإلى أنها لا تقوم على الاستغلال الاقتصادي فقد جاء في بعض دراساتها : « تستفيد اسرائيل من تدفق الثروات والمواد الخارجية الضخمة نوعاً وكماً

1 - Jabotinsky V. Ausnes to Beion. N. T. 1964 P. 10, 12, 16.

وذلك بصورة لا مثيل لها بين دول العالم . كذلك تشغل اسرائيل مكاناً ممتازاً في الشرق الأوسط بمعنى أنها **ممولة من قبل الأمبريالية بدون أن تكون خاضعة للاستغلال الاقتصادي الامبريالي** على سبيل المثال كتب الاقتصادي الأمريكي أوسكار غاس (كان في السابق مستشاراً اقتصادياً لدى الحكومة الاسرائيلية) في مراجعته لكتاب تطور اسرائيل الاقتصادي ما يلي : « إن الناحية الفريدة في عملية التطور (الاقتصادي الاسرائيلي) كما يبرزها المؤلفان تكمن في تدفق رأس المال الى اسرائيل . يبين المؤلفان انه خلال ١٧ عاماً (١٩٤٩ — ١٩٦٥) حصلت اسرائيل على أكثر من ستة بلايين دولار من استيراد البضائع والخدمات مما صدرته . وفي فترة ٢١ عاماً (٤٨—٦٨) كان فائض الاستيراد يزيد عن ٧ بلايين ونصف المليون دولار وهذا يعني أن الزيادة بلغت مقدار ٢٦٥٠ دولاراً للشخص الواحد أو لكل شخص عاش في اسرائيل خلال فترة ٢١عاماً. كذلك يبين المؤلفان أن نسبة ٣٠ **بالمائة فقط من هذه الموارد الخارجية دخلت الى اسرائيل بشروط مقابلة تفرض خروج الارباح أو الفوائد أو الرأسمال من البلد نفسه . هذا وضع لا مثيل له في أي مكان اخر** وهو يحد بمقدار كبير من أهمية تطور اسرائيل الاقتصادي كمثال يحتذى من قبل بلدان أخرى »[1] .

---

١ — المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتسبن) ليلى سليم القاضي (ص، ٧٥) . منشورات مركز الأبحاث .

وقد تحدث الكاتب يحيى عروركي عن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع اسرائيل في كتاب « العلاقات الاقتصادية الخارجية لإسرائيل » ، فوضّح ضخامة التعامل بينهما ، وبيّن أرقام المعونات التي قدمتها إلى اسرائيل والصور التي كانت تقدم تحتها ، وفصّل مجالات التعاون بينهما والأشكال التي تمّ فيها هذا التعاون ، ثم تعرّض إلى الجمعيات الصهيونية في الولايات المتحدة ودورها الاقتصادي في دعم اسرائيل وموقف السلطة منها .

ونحن سننقل الفقرة التي عرض فيها هذه المعلومات وسنحذف آراءه الشخصية التي كان يدخلها في سياق العرض قال الكاتب : « يمكن اعتبار الولايات المتحدة بالنسبة لاسرائيل نموذجاً وحيداً عن غيرها من الدول التي لها صلات وتعامل معها. فهي عدا عن كونها في رأس قائمة الدول التي تتعامل معها تجارياً . فإنها ايضاً في مقدمة الدول التي تتعاون معها اقتصادياً ، وتدعمها سياسياً ، وتزوّدها بالأعتدة والتجهيزات العسكرية ، هذا بالاضافة إلى النفوذ السياسي الذي تملكه المنظمات الصهيونية والهيئات اليهودية داخل الولايات المتحدة نفسها ، والذي تستخدمه لمصلحة اسرائيل بمختلف السبل ، وفي كل المناسبات ، حتى ليبدو وكأن هناك ارتباطاً لا انفصام معه بين أحد الدولتين .

ويمكن القول ، إن بدء هذه العلاقات جدياً إنما يعود إلى ما قبل قيام اسرائيل ، عندما تحولت المنظمات الصهيونية إلى

خطب ودّ الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب العالمية الثانية ، بعد أن نفضت يدها من بريطانية على إثر ما بدا لها من انتقال القوة من هذه إلى تلك . ثم تأكدت هذه العلاقات والتعاون بالدعم الذي ظفرت به من الرئيس ترومان أثناء بحث المشكلة الفلسطينية في الأمم المتحدة، وبعد إعلان قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ . إذ لم يكد يمضي وقت قصير على هذا الإعلان حتى بدأت المباحثات الرسمية بين حكومة الولايات المتحدة الامريكية والحكومة الموقتة الاسرائيلية (وانتهت بحصول الأخيرة على قرض بمبلغ (١٠٠) مليون دولار باسم التطوير الاقتصادي ، كما جاء في رسالة ترومان إلى (وايزمان) رئيس الدولة في اسرائيل بتاريخ ١٩٤٨/١١/١٩ . وقد تبع الحصول على هذا القرض استلام اسرائيل لقرض آخر قدره (٣٥) مليون دولار عام ١٩٥٠ . هذا بالإضافة إلى المساعدات الضخمة التي سهلت الحكومة الأمريكية إرسالها إلى اسرائيل كهبات واستثمارات من منظمات وهيئات وشركات يهودية وأمريكية ، قدرت بنحو (١٠٠٠) مليون دولار خلال السنوات الخمس الأولى من قيام اسرائيل ، وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية تمنح ضمانات وتسهيلات لتصدير رؤوس الاموال الاميركية من أجل الاستثمار في الصناعة، وفي إقامة فروع للمشاريع الصناعية الاميركية في البلد المذكور ، وخاصة في مجالات الصناعات الكيمائية والملابس ومواد التجميل أو في إقامة المصارف

شرطات الاستثمار وغيرها

ويمكن القول ، إنه ليس هناك نوع من المساعدات لا تقدمه الولايات المتحدة الامريكية لاسرائيل . وهي بذلك تتبع أشكالاً وسبلاً متعددة، فهي تارة تقدم مساعداتها بصورة مباشرة ، وأخرى بصورة غير مباشرة ، بواسطة الدول الأخرى ، ذلك أن للاستعمار الأمريكي واحتكاراته محطاته ومخازنه وأدواته المنتشرة في أكثر من ناحية من العالم . وقد كانت دول أوروبة الغربية بشكل عام ، وألمانية الغربية بشكل خاص من هؤلاء الوسطاء ، وممن قاموا بالدور الذي أوكلته الولايات المتحدة الامريكية لكل منها على الوجه الأفضل .

إن ما يعطي المساعدات الامريكية طابعاً خاصاً ملفتاً للنظر ، هو أن هذه المساعدات ليست مما اعتادت الدول أن تمنحه لبعضها في الظروف والأحوال العادية ، وإنما هي من النوع المتعدد الجوانب ، والكثير التشابك ، بشكل يصعب معه تحديد هذه الجوانب والخيوط ، نظراً لتعقد الأحوال والظروف المحيطة بإقامة دولة اسرائيل واستمرار دعمها .

وهذه المساعدات الكبيرة التي تتلقاها اسرائيل من الولايات المتحدة الامريكية لا تتجه بكاملها نحو عملية التطوير الاقتصادي، كما تحاول السلطات في واشنطن وتل أبيب إلباسها هذه الصفة ، وإنما تأخذ جانباً منها من أجل حاجات العدوان والمتطلبات

العسكرية التي تعتبرها تلك السلطات بمثابة الدعم القوي للاقتصاد الاسرائيلي ، سواء من حيث توفير ظروف الأمن، أو من ناحية تأمين العون المادي لها .

إن المساعدات الامريكية تتجه بالدرجة الأولى نحو توظيف رؤوس الأموال في الصناعة الاسرائيلية المرتبطة بالإنتاج الحربي . وتشهد على مدى استغلال اسرائيل في إقامة مجموعة صناعية عسكرية فعالة المعطيات التي أوردتها (فايننشل تايمز) والتي يتضح منها أن الاحتكارات الامبريالية الصناعية والمالية الكبرى في الولايات المتحدة الامريكية وبريطانية وألمانية الاتحادية قد وظفت في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ أكثر من (١٣٠) مليون دولار في الصناعات الاسرائيلية ذات العلاقة بالإنتاج الحربي ، وذلك تنفيذاً لتوصية مؤتمر رجال الأعمال اليهود في العالم الذي اشتهر باسم مؤتمر أصحاب الملايين، والذي انعقد في القدس في نيسان (ابريل) ١٩٦٨ .

ثم إن حكومة الولايات المتحدة الامريكية عمدت إلى نوع من الخداع أمام الرأي العالمي وأمام الشعب الامريكي ذاته ، عندما قدمت لاسرائيل الكثير من الأعتدة والتجهيزات من مخلفات الجيوش الامريكية بأسعار رمزية وفي ذلك قال ابن جوريون : « إننا حصلنا بمليون دولار على أسلحة تساوي ملايين كثيرة » . ولم يكن القصد من هذا كله سوى تقديم المزيد من المساعدات لها تحت ستار هذا النوع من الصفقات. وهذا من شأنه أن يوضح

كيف أن الأمر لم يكن مجرد صفقة تجارية حققها ذكاء حكام اسرائيل ، بقدر ما هي نوع من الرياء والخداع والتضليل الذي يلجأ إليه حكام واشنطن وحكام تل أبيب .

وقد امتد هذا الأسلوب في التعامل بين البلدين حتى شمل الأغراض العلمية . فتحت ستار التعاون الذري للأغراض السلمية بينهما ، حصلت اسرائيل على مساعدة الولايات المتحدة لتحلية مياه البحر، حيث بدأت هذه المساعدة على شكل تقديم مكتبات تبحث في علوم الذرة في عامي ١٩٥٥ و ١٩٥٦ لتتطور فيما بعد إلى إنشاء شركة اسرائيلية أمريكية لإقامة مصنع لتحلية مياه البحر في إيلات . وقد بوشر العمل في أوائل عام ١٩٦٤ . ثم لم يلبث الأمر أن تكشف عن أن الاتفاق يتضمن دراسات متقدمة وخططاً واسعة لإقامة مصنع نووي في اسرائيل ، وجهاز تقطير بقوة (٢٥) مليون متر مكعب من المياه سنوياً بحيث تبلغ تكاليفه عشرات الملايين من الدولارات كما أعلن عن ذلك ليفي أشكول في حزيران ١٩٦٤ .

وكان البلدان قد وقّعا بتاريخ ٦٠/١٠/٣ اتفاقاً بشأن حرية المبادلات التجارية والإعفاء من الرسوم والضرائب المزدوجة . كما كانا قد وقعا بتاريخ ٦٢/٥/٥ الاتفاقية الخاصة بفائض المواد الزراعية الأمريكية قيمتها (٨و٢٤) مليون دولار . وبالاضافة إلى هذا المبلغ فقد حصلت اسرائيل بموجب برنامج الفائض المذكور الذي تقدّمه الولايات المتحدة لعدد من البلدان على مبالغ

أخرقدرمجموعهاحتىعام ١٩٦٥ بحدود (١٢٥) مليون ليرة اسرائيلية ، ويزداد هذا المبلغ مع الوقت حيث تتجمع المبالغ الناجمة عنه في صندوق خاص يسمى (صندوق التعويض الأمريكي) وتكون بعملة البلد المستفيد منه ، كما تشكل موارده أيضاً من تسديد مختلف القروض الأمريكية الممنوحة بالدولارات. ويستخدم جزء منه لتغطية نفقات السفارة الأمريكية ومكاتبها في اسرائيل . وتسعى هذه لاستخدام جانب من هذا الصندوق لتمويل المساعدات الأمريكية لمختلف المنظمات الامريكية وتشكيل هيئات جديدة في اسرائيل وبناء المعابد . واقترح الأمريكيون ان تقدّم اسرائيل بعض المنتوجات الاسرائيلية للجيش الأمريكي في حوض البحر الأبيض المتوسط وفي بعض بلدان أوروبة الغربية ، على أساس تسديد نصف قيمتها نقداً بالدولارات ، والنصف الآخر من موجودات هذا الصندوق ، وكذلك تسديد أجور تصليح الطائرات في ورشات (بيدل) حيث يتم تسديد ثمن القطع التبديلية وغيرها من الأدوات التي تحتاجها عمليات التصليح بالدولارات والباقي من حصيلة الصندوق الآنف الذكر .

ثم ان اسرائيل حصلت خلال السنة المالية التي انتهت في نهاية حزيران ١٩٦٢ على مبلغ (٤٥) مليون دولار من صناديق الحكومة الامريكية للمساعدة الخارجية التابعة لوكالة التطور الدولي ، وقد خصص لاقتناء الماكينات ومواد الاستهلاك

والخدمات اللازمة لتنمية الصناعة فيها .

كما حصلت اسرائيل ، بالإضافة لذلك على المزيد من المنح والهبات ، ويأتي في مقدمة ذلك ما قامت به بعثة (العلم الامريكية) التي امتدت أعمالها في اسرائيل نحو ١١ عاماً وانتهت عام ١٩٦٢ . فلقد وفد خلال هذه الفترة إلى اسرائيل نحو (٣٤٠) خبيراً امريكياً لتقديم المشورة والمساعدات الفنية في مختلف المجالات ، كما ساهمت البعثة في إيفاد (٦٤٠) طالباً اسرائيلياً لاستكمال دراساتهم في الإنتاج الحديث في الولايات المتحدة ، وقد أنفقت البعثة خلال هذه المدة نحو (٢٥) مليون دولار ، ولعبت دوراً في رفع مستوى القدرة الفنية والعلمية والمهنية في المشاريع الصناعيه ولدى العاملين فيها وكذلك فإن وزارة الزراعة الامريكية منحت بعض المؤسسات الاسرائيلية عدة منح لإجراء بحوث اقتصادية عن التطور الزراعي الاسرائيلي، ومخصصات المياه والبحث العلمي ، وقدمت بعض المساعدات المالية لمعهد الأبحاث الاسرائيلي (التكنيون) لتمويل الأبحاث في مجال الأسمدة العضوية. كما قدمت وزارة الصحة والمعاهد الصحيه عدداً من المنح والهبات لجامعة (هداسا) العبرية ، ولبعض الأطباء والاساتذة ، للقيام ببحوث خاصة عن علوم الجراثيم والسرطان .

وهكذا في ضوء ما تقدم ، يتبدّى كيف أن المساعدات

الامريكية تأخذ أشكالاً متعددة ، فتارة عن طريق تقديم التجهيزات والآلات والمعدات والبضائع والسلع الامريكية ، وتارة بتحويل مستوردات اسرائيل من البلدان الأخرى ، وأخرى بمنحها قروضاً وإعانات نقدية .

إذا كانت الولايات المتحدة تعتمد أحياناً تكتيكياً معيناً في تقديم مساعداتها لاسرائيل والدول الاخرى ومنها الدول العربية لتظهر حيادها في النزاع العربي الاسرائيلي، فإن حجم ما تقدمه لكل من الجانبين يفضح حقيقة هذا التكتيك ، ويظهر كيف أن الدعم الذي يقدم لاسرائيل إلى أبعد حد، إنما هو هدف استراتيجي للسلطات الامريكية وإن التمييز بين المساعدات لكل من العرب واسرائيل إنما هو مقصود لذاته. والجدول رقم (١) يوضح هذا التمييز ، خصوصاً عندما يؤخذ بعين الاعتبار مساحة بلد كل من الجانبين وعدد سكانه .

الجدول رقم (١)

المساعدات الامريكية لاسرائيل والدول العربية

ملايين الدولارات

السنة	مساعدات اقتصادية لاسرائيل	مساعدات اقتصادية للدول العربية
١٩٤٨	—	٧٫٣
١٩٤٩	—	—
١٩٥٠	١٣٥	—
١٩٥١	—	٤٫٨
١٩٥٢	٦٣٫٥	٩٫٥
١٩٥٣	٧٣٫٧	٢٠٫١
١٩٥٤	٥٤	٢٥٫٨
١٩٥٥	٥٤٫٦	٥٦٫٢
١٩٥٦	٥٤٫٤	٣٩٫٩٠
١٩٥٧	٣٧٫٥	٣٧٫٦٨
١٩٥٨	٨٩٫٢	٧٠٫٩
١٩٥٩	٥٢٫٤	١١٤٫٥
المجموع	٦١٤٫٣	٣٨٦٫٦٨

فإذا ما أضفنا إلى تلك المساعدات المباشرة التي تقدمها الحكومة والمؤسسات الامريكية لاسرائيل ، ويعلن عنها في أغلب الاحيان ، المساعدات الأخرى غير المباشرة التي تقدم من مؤسسات وجمعيات صهيونية امريكية أو مواطنين امريكيين ممن يساهمون في حملات التبرع والجباية وبيع السندات الاسرائيلية في الأراضي الامريكية أو من خلال حث الحكومة الامريكية لغيرها من الحكومات والمؤسسات الأخرى لتقديم المساعدت لاسرائيل ، يتضح مدى أهمية المساعدات التي تحصل عليها اسرائيل من الولايات المتحدة ، ومدى ما تعلقه عليها سلطات تل أبيب من أهمية وآمال .

ولقد بدأت اسرائيل في عام ١٩٦٨ والمنظمات الصهيونية مساعيها للحصول على مزيد من المساعدات والمعونات من وراء ترديد نغمة الخطر العربي وعبء نفقات التسلح وبدأت في مطلع عام ١٩٦٩ حملة لبيع سندات القرض الاسرائيلية لليهود في الولايات المتحدة الأمريكية وبلدان العالم الأخرى . وقامت شخصيات اسرائيلية (جولدا مائير واسحق رابين) بزيارة للولايات المتحدة وأمريكة الجنوبية وانجلترة لدعم هذه الحملة . وتنظر اسرائيل إلى المؤسسات والمنظمات الصهيونية في هذه البلدان وغيرها من خلال كونها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحركة الصهيونية العالمية واسرائيل . وهي تعمل تحت علم وبصر الحكومة الأمريكية ، وكأنها مؤسسات خيرية أمريكية ، لتحصل بهذه الصفة على

المساعدات الأمريكية الضخمة . ذلك ان اعتبار المساعدات المذكورة على أنها مساعدات لمؤسسات امريكية من شأنه اعتبارها جزءاً من ضريبة الدخل التي تؤدى للخزينة الأمريكيه ، أو بالتالي تخصم منها . وهذا الوضع شجع آلاف الأمريكيين وخاصة اليهود منهم على المساهمة في حملات الجباية التي تنظمها المؤسسات والتي هي صهيونية التأسيس والارتباط .

ومع ذلك فإن اسرائيل لم تكتف بالأموال التي تتم جبايتها من قبل الجباية اليهودية الموحدة في الولايات المتحدة الامريكية ، ولا بالمساعدات الامريكية الرسمية وغير الرسمية ، وإنما اصدرت سندات القروض اسمتها (قرض الاستقلال وقرض الأعمار) ونسجت حوله الدعايه ، مما حقق لها رقماً كبيراً للمبيعات بلغ حتى نهاية عام ١٩٦٢ نحو (٦٠٠) مليون دولار . حتى أن (ليندون جونسون) عند تسلمه مهام الرئاسة ، قد اشترى سندات الدين الاسرائيلية عدة مرات . وصرح وزير المالية الاسرائيلي ، بأن سندات الدين المذكورة سوف تساعد على إعمار منطقة النقب . وفي أواخر عام ١٩٦٢ ، وجه المذكور نداء لجمع مبلغ (٦٦،٥) مليون دولار عن طريق بيع هذه السندات ، على اعتبار أنه ضروري لتمكين اسرائيل من توطين المهاجرين القادمين من البلدان الأخرى ، التي كانت تقوم فيها المنظمات الصهيونية بافتعال بعض الحوادث (رسم الصليب المعقوف النازي على الجدران ، توزع منشورات معادية لليهود ...) في عدد من

البلدان الأوروبية آنذاك ، وبين حين وآخر .

وفي أواخر عام ١٩٦٣ قدم وزير المالية الاسرائيلي مشروع قانون (السلسلة الثالثة) من سندات قرض التطور بهدف تعبئة (٤٠٠) مليون دولار خلال خمس سنوات . وكانت اسرائيل حتى ذلك الحين قد سددت نحو (١٦٣) مليون دولار من قيمة سندات الاستقلال والتنمية . وقد بلغت حصيلة بيع السندات الاسرائيلية في الولايات المتحدة عام ١٩٦٦ نحو (٩٠) مليون دولار . وقال بنحاس سابير في مؤتمر التخطيط القومي لمنظمة السندات المذكورة الذي عقد عام ١٩٦٧ في الولايات المتحدة « بأن حملة بيع السندات هي عصب التنمية في اسرائيل »[1] .

* * *

بعد هذا العرض المفصل للعلاقات الاقتصادية بين أمريكا واسرائيل يمكن أن نجيب على السؤال الذي طرحناه ، وأجلنا الإجابة عليه ريثما ندرس حقيقة العلاقة الاقتصادية بينهما .

الجواب هو : ليست العلاقة بين أمريكا واسرائيل علاقة استغلال اقتصادي ولا نهب استعماري بل اسرائيل هي الرابح الاقتصادي من هذه العلاقة .

---

١ – العلاقات الاقتصادية الخارجية لاسرائيل . يحيى عردوكي . مركز الأبحاث (ص ، ٢٧ – ٤٠) .

والحقيقة إنها علاقة فريدة ، في طبيعتها ، وضخامتها ، ومجالاتها ونتائجها .

ومما يزيد في غرابة هذه العلاقة وفرديتها إصرار أمريكا على استمرار هذه العلاقة في حين أن مصالحها الحيوية مهددة في عالمنا العربي من جرّائها .

أين نجد تفسيراً لغرابة هذه العلاقة الاقتصادية بينهما وفرديتها ؟

التفسير نجده في دور الأقلية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية .

لندرس هذا الدور .

* * *

نتساءلَ ابتداءً – ما هي القيمة الأساسية الفاعلة في النظام الرأسمالي ؟ يأتينا الجواب دون أدنى ارتجاج أو اختلاف : المال .

ولا نتعدى الحقيقة إذا قلنا بأن قيمة المال أولية الفعل ووحيدته ، وبأن كل القيم الأخرى الناسجة لهيكل المجتمع الرأسمالي منفعلة بها .

بصورة ثانية : يمكنك ان تؤثر في تشعبات الحياة المتنوعة :

السياسية والاجتماعية والاقتصاديـــة الخ ... حسب أموالك . وكلما ازددت مالاً ازددت تأثيراً .

بعد هذه المقدمة نتساءل : ما هو دور الأقلية اليهوديـــة الاقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية ؟

تجمع الدراسات الموضوعية الهادئة – في هذا المجال – على أن لليهود نفوذاً اقتصادياً ومالياً في الولايات المتحدة يفوق عددهم ، ولا يماثله نفوذ أقلية أخرى .

فقد ذكر مصطفى عبد العزيز في دراسته عن الأقلية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية الصناعات والمجالات التي يسيطر اليهود عليها فقال : « إن التجارة وصناعـة الملابس ووسائل التسلية حافظت على أهميتها في مهن اليهود منذ عام ١٩٣٠ ، غير أنه أضيف اليها بعض الأعمال الأخرى بدرجة لا بأس بها كالصناعات الخفيفة ، ثم بدأ اليهود بمرور الوقت ومع التطور الاقتصادي الأمريكي يدخلون مجلات الصناعات الثقيلة [1] ، ولكن بنسبة أقل ، فيوجد عدد قليل من اليهود ممن يملكون مصانع الصلب أو يشتغلون فيها .

وإن لهم نفوذاً هاماً في دور النشر والطباعـة والإذاعات

1 - No Than Glazer and Damiel Patrick o. P. cit. P. 155.

والتلفزيون ودور السينما [1] كما أصبح لهم نشاط ملحوظ في مجال الإعلان والالكترونات [2] ، كما يعمل أكثر من (١٠٠،٠٠٠) رجل وامرأة يهودية في القوات المسلحة الأمريكية ، ويلاحظ أن لليهود الأمريكيين نشاطاً لا بأس به في مجال العقارات والبناء. وبالنسبة للبناء فقد جمع اليهود من ورائها ثروات طائلة [3]. كما ان الإتجار في العقارات جذب العديد من اليهود لمزاولة عمليات الضمان الحالي والتسليف القصير والطويل المدى ونشاطهم في هذا المجال قد اتسع باتساع وتنوع العقارات نفسها [4] . ويعود اهتمام اليهود واشتغالهم بأعمال البناء والضمان المالي وما حققوه من أرباح طائلة في هذين المجالين ، إلى ان حركة امتداد المدن إلى الضواحي قامت أساساً على الضمان أو أصبح الإسكان والبنـاء أضخم صناعة أمريكية . فربع العدد الكلي من المنازل التي يسكنها الأمريكيون اليوم بنيت منذ السنة (١٩٥٠) واستثمر في مشروعات الاسكان والبناء رأسمال ضخم . واحتاجت المؤسسات الكبرى التي عملت في هذا المجال الى تسهيلات ائتمانية لتمويل التوسع في وسائل الانتاج وللرهونات على المصانع وعلى

1 - George Eaton Simpson and Milton Kinger, Racial Cup Tural Manorities, an Analysisan Preju - dice and Discrimination Harper A Brathers. P. 418.

٢ – المرجع الموجود في الفقرة (١) : (ص ، ١٥٣) .

٣ – المرجع الموجود في الفقرة (١) : (ص ، ١٥١) .

أبنية المكاتب والمؤسسات التجارية وتمويل المساكن الجديدة ، وقام اليهود بالجزء الأكبر في عمليات البناء والضمان المالي والتسليف فجنوا من وراءه ثروات ضخمة » [1] .

ثم تحدث مصطفى عبد العزيز عن سيطرة اليهود على العمليات الوسيطة في الاقتصاد الأمريكي وأثر ذلك على إثرائهم فقال : « إن من بين أسباب ارتفاع المستوى الاقتصادي للأقلية اليهودية الأمريكية ما يعود الى سيطرتهم على العمليات الوسيطة التي تستخدم في المجتمعات الرأسمالية لتنمية رأس المال واقتنائه والحصول عليه كمكاتب كبار المحامين والسماسرة والوسطاء وشركات الإعلان والتسويق وأعمال التسليف المالي إلى غير ذلك من المهن التي تمثل الجهاز العصبي في أي نظام رأسمالي وتعود على المشتغلين فيها بأرباح طائلة . كما أن اتجاههم منذ البداية إلى التجارة الخارجية بفضل ما كان لهم من علاقات سابقة مع دول أوروبة مكنهم من السيطرة على أغلبها وجمع ثروات كبيرة ، ولا يخفى أهمية التجارة الخارجية في الاقتصاد الحديث ، لا سيما الاقتصاد الأمريكي الوفير الذي يعتمد في توسعه وتوزيعه على الأسواق الخارجية » [2] .

ثم يعترف مصطفى عبد العزيز بصعوبة البحث إلا أنه يقرر

١ – الأقلية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية (ص ، ٦٢) .
٢ – « « « « « « « (ص ، ٦٤) .

نفوذ الأقلية اليهودية الاقتصادي في أمريكا فيقول : « ورغم قلة المصادر التي يمكن عن طريقها استخلاص تقدير لثروات الأقلية اليهودية الأمريكية ومركزها بالنسبة للقطاعات الاقتصادية الرئيسية والهيكل الاقتصادي الأمريكي العام، إلا أن الأرقام الاحصائية السابق عرضها في هذا الفصل توضح بجلاء أن ترتيب المستوى الاقتصادي لهذه الأقلية اجمالاً يأتي في المرتبة الأولى ، ولا شك أن هذا المستوى يعطيها كجماعة من جماعات الضغط وزناً خاصاً يزيد من فعالية تأثيرها السياسي والاجتماعي [1] .

ولم يقف أمر اكتشاف نفوذ الأقلية اليهودية الاقتصادي في الولايات المتحدة الامريكية عند بعض الباحثين إنما تعداه إلى كبار المؤرخين ك (توينبي) فقد استوقفته هذه الظاهرة ، فدرسها وتحلّق عليها فقد جاء في كتاب « مختصر دراسة التاريخ » ما يلي : « أما فيما يتصل بالولايات المتحده ، فما برح العامل المحدد لسياستها الفلسطينية كامناً حتى اليوم في التفاوت الكبير في عدد وشراء ونفوذ كل من العنصرين اليهودي والعربي في مجموعة سكان البلاد . إذ يبدو الأمريكيون العرب – إن قورنوا باليهود الامريكيين – كما مهملاً ، حتى وإن أخذ في الحسبان أولئك العرب اللبنانيون ذوو الأصل المسيحي . أما

(١) المرجع السابق (ص ، ٦٥) .

الجانب اليهودي من كتلة المواطنين الامريكيين ، فإنه يمارس سلطاناً سياسياً لا يتناسب إطلاقاً مع عدد أفراده . ذلك لأن اليهود الاميركيين يتركزون في مدينة نيويورك . وهذا أمر له وزنه في معترك المنافسة على كسب الأصوات في السياسة الامريكية المحلية في دولة رئيسية [1] » .

* * *

ليس من شك بأن النفوذ الاقتصادي البارز للأقلية اليهودية في المجتمع الامريكي يستتبع قيادة له وتأثيراً في مختلف شعب حياته : من سياسية ، وإعلامية ، وجامعية دينية الخ ....

وهناك أدلة وافرة على هذه القيادة وهذا التأثير لن نعرضها لأنه ليس هذا مقامها وإنما نكتفي بالاشارة إليها .

ويظهر أن قيادة اليهود للمجتمع الامريكي ، وتأثيرهم فيه بلغ حداً مزعجاً استدعى بحثه في مجلس الشيوخ الأمريكي .

فقد استصدر السناتور الأمريكي فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية في ذلك المجلس قراراً يخول لجنته التي يرأسها أن تجري تحقيقاً في نشاط الهيئات الاجنبية غير ذات الصفة الدبلوماسية في أمريكا ، وكانت المنظمات الصهيونية على رأس تلك الهيئات .

فقد استجوبت لجنة فولبرات المسؤولين عن هذه المنظمات في فترة تقع بين ٢٣ أيار – إلى ١١ آب – ١٩٦٣ ثم وضعت تقريراً في ثلاثمائة صفحة يتضمن التحقيق والنتائج التي توصلت إليها .

---

(١) مختصر دراسة التاريخ . الجزء الثالث (ص ٣٢٩) .

فقد أثبت التحقيق الذي أجرته أن الوكالة اليهودية – وهي الجهاز التنفيذي للمنظمة الصهيونية العالمية – تمارس نشاطها من أجل السيطرة على عقول الأمريكيين وتفكيرهم وتسعى إلى تحويلهم إلى أدوات لخدمة اسرائيل .

وقد سجل التقرير الذى وضعته لجنة فولبرايت أن المبالغ الضخمة التي يجمعها يهود امريكا سنوياً تنفقها المنظمات الصهيونية في امريكا نفسها بقصد تحقيق ثمانية أهداف رئيسية هي :

١ – السيطرة على الصحافة .

٢ – السيطرة على محطات التلفزيون والإذاعة وشركات السينما .

٣ – التسلسل إلى الهيئات الدينية المسيحية .

٤ – التسلسل إلى الاوساط العلمية .

٥ – التسلسل إلى دور النشر .

٦ – استغلال المحاضرات .

٧ – إنشاء الصلات مع المؤسسات المختلفة ذات العلاقة الخارجية .

٨ – استمالة قادة الرأي العام .

وقد تحدث التقرير مفصلاً عن الاساليب المختلفة التي اتبعتها

مكتبة جامعة بيرزيت

الصهيونيه لتحقيق الأهداف السابقه . ونحن سننقل طرفاً مما سطره التقرير :

١ ــ السيطرة على الصحافة .

كشف التحقيق عن أن المنظمات الصهيونية تعمل على إنشاء علاقات خاصة قوية بينها وبين الصحافة ، وبأنها تعمل على إقحام محررين موالين لها في الصحف الأمريكية الهامة ، كما تعمل على التأثير في كتّاب هـــذه الصحف ومعلقيها بحيث يضعون أقلامهم في خدمة اسرائيل .

وتستغل الصهيونية النفوذ الذي أوجدته لنفسها في الصحافة الامريكية لمنعها من نشر أية مادة تسيء إلى اسرائيل .

هذا عدا أنها تتولى إصدار صحف ومجلات هدفها الوحيد: تأييد اسرائيل ، ونشر الدعاية التي تفيدها .

وقد أثبت التحقيق أن المنظمات تعمل على شراء ذمم الصحف الامريكية ومحرريها .

٢ ــ السيطرة على محطات التلفزيون والاذاعة وشركات السينما .

أظهر التحقيق بأن الوكالة اليهودية وغيرها من المنظمات الصهيونية تعمل بشتى الطرق على توثيق صلاتها بالعاملين في هذه الجهات، علاوة على أنها تحاول أن تقحم عليها موظفين من عملائها

بقصد إذاعة برامج وإنتاج أفلام تدور حول اسرائيل .

٣ ــ التسلل إلى الهيئات الدينية النصرانية :

كشف التحقيق بأن المنظمات الصهيونية تتحايل على كسب مودة رجـــال الدين النصراني البارزين ومختلف الجمعيات الدينية الهامة . وهي تنظم حلقات دراسية عن اسرائيل لرجال الدين النصارى ، وتعمل على نشر مقالات لصالح اسرائيل في الصحف الدينية الخاصة بالبروتستانت والكاثوليك على السواء .

٤ ــ التسلل إلى الأوساط العلمية :

بيّن التحقيق أن المنظمات الصهيونية تساند الاتحـــاد الأمريكي لدراسات الشرق الأوسط ، وتعمل على توجيه أبحاثه ودراساته الوجهة التي تخدم اسرائيل .

كما أثبت التحقيق أن المنظمات تحرص على تنظيم ايام باسم « يوم اسرائيل » في الكليات والمعاهد المختلفة ، وأنها تتعاون مع الجامعات في تنظيم حلقات دراسية عن الشرق الأوســـط تديرها لصالح اسرائيل .

وأظهر التحقيق ــ ايضاً ــ أن المنظمات الصهيونية تتحايل لفرض رقابة على الصحف الجامعية ، لمنعها من نشر أية مـــادة تسيء إلى اسرائيل . هذا علاوة على الجهود الكبيرة التي تبذلها لإقحام المواد التي تخدم اسرائيل .

كما كشف التحقيق بأن المنظمات الصهيونية تتدخل في إعداد النشرات التوجيهية التي توزع على هيئات التدريس في المدارس الابتدائية والثانوية .

٥ – التسلل إلى دور النشر :

بـين التحقيق ان المنظمات الصهيونية تقدم المعونات لدور النشر كي تحملها على إصدار الكتب التي تخدم اسرائيل ، ثم تقوم بتوزيع هذه الكتب على مكتبات الجامعات والمكتبات العـامة .

٦ – استغلال المحاضرين :

أظهر التحقيق أن المنظمات الصهيونية تستخدم محاضرين من اليهود والنصارى في إلقاء المحاضرات المؤيدة لاسرائيل في المحافل الدينية والاجتماعية والعلمية وغيرها . كما أنها تسعى لحمل الدوائر الثقافية على دعوة محاضرين من اسرائيل .

٧ – إنشاء الصلات مع المؤسسات المختلفة ذات العلاقات الخارجية :

أظهر التحقيق أن المنظمات الصهيونية تعمل على توثيـق صلاتها بالمؤسسات الأمريكية ذات العلاقات الخارجية ، سواء كانت هذه المؤسسات خيرية أم دينيـة أم علمية . كما تبين أن المنظمات تبذل جهـوداً خاصة لتوثيـق علاقاتهـا بالزنوج الأمريكيين .

٨ – استحالة قادة الرأي العام :

كشف التحقيق عن أن المنظمات الصهيونية تحاول تجنيـد قادة الرأي العام لخدمتها، وأنها في سبيل ذلك تنظم لهم رحلات فردية وجماعية إلى اسرائيل . كما تنظم رحلات دراسية لطلبـة الجامعات الامريكية إلى اسرائيـل أيضاً . وتزود السلطات الاسرائيلية بالتوجيهات المتعلقة بكيفية معاملة كل فئة من فئات الزوار الامريكيين (١) .

الخلاصة :

ليست العلاقة بين امريكا واسرائيل علاقـة استعمارية ، بل هي علاقة متفردة تربح فيها اسرائيل من أمريكا ، ويرجـع ذلك إلى نفوذ الأقلية اليهودية الاقتصادي في المجتمع الامريكي حيث يستتبع ذلك قيادة له وتأثيراً فيه .

ب – روسيا :

أقام الاتحاد السوفييتي علاقة متينة مع العالم العربي – لأول مرة – إثر صفقة الاسلحة التشيكية إلى مصر عام ١٩٥٥ ، ثم توسعت علاقاته فأعطى سورية اسلحة عام ١٩٥٧ ، ثم العراق

---

(١) ورد هذا التقرير في مجلة (المجلة) السنة الحاديـة عشرة . العدد ١٢٧ . تموز ١٩٦٧ . القاهرة .

بعد عام ١٩٥٨ ، وتوطدت صداقته مع الجزائر إثر استقلالها .

ولم تعد ترتبط علاقات الاتحاد السوفياتي بالدول العربية بموقف هذه الدول من الأحزاب الشيوعية ، وخير دليل على ذلك الأزمة التي وقعت بين عبد الناصر والشيوعيين عام ١٩٥٩ ، واستمرار علاقات الاتحاد السوفياتي الطيبة بمصر إثر ذلك .

ويهدف الاتحاد السوفييتي من المنطقة ككل دولة عظمى الربح الاقتصادي منها ، وإلى ربطها سياسياً به ، الوصول إلى المياه الدافئة حلم روسيا القديم .

والسؤال المطروح الآن : ما هو موقف الاتحاد السوفياتي من اسرائيل أكبر أعداء شخصيتنا الحضارية التاريخية ؟ وللإجابة على هذا السؤال سندرس موقف الشيوعية من المسألة اليهودية وسنناقشه ، ثم سنستعرض مواقف الاتحاد السوفييتي العملية من اليهود ومن المسألة اليهودية .

الشيوعية والمسألة اليهودية :

تناول شيوعيون كثيرون المسألة اليهودية ، منهم : ماركس ، لينين ، ستالين ، ابراهام ليون . ونحن سندرس المسألة اليهودية عند هؤلاء الكتاب .

١ — ماركس :

يمهد ماركس لدراسته فيقول بأن المسألة اليهودية في الدراسات السابقة كانت تقف على رأسها ، وهو سيحاول أن يصحح وضعها ويجعلها تقف على قدميها .

يبدأ ماركس معالجته المسألة رداً على (بوير) قائلاً : « لم يكن كافياً التساؤل : من ينبغي له أن يحرر ؟ ومن الذي يجب أن يحرر ؟ فعلى النقد أن يطرح على نفسه سؤالاً ثالثاً : بأي نوع من أنواع التحرر يتعلق الأمر ؟ وآية شروط تقوم في جوهر التحرر المقتضى ؟ [١] »

ويرى ماركس أن المسألة اليهودية لا تطرح بشكل طلق بل تختلف تبعاً للدولة التي يعيش اليهودي في ظلها ، فهي تختلف بين المانيا وفرنسا وامريكا الشمالية .

ثم يقارن بين أوضاع اليهود في هذه الدول الثلاث ويصل إلى النتيجة التالية : « يجب ان لا نبحث عن سر اليهودي في دينه ، بل فلنبحث عن سر الدين في اليهودي الواقعي [٢] » .

ثم طرح ماركس السؤال التالي : « ما هو الأساس الدنيوي لليهودية ؟ » فأجاب : « المصلحة العملية والمنفعة الشخصية .

---

(١) المسألة اليهودية . كارل ماركس . ترجمة محمد عيتاني (ص ١٣).

(٢) « « « « « « « (ص، ٥٤).

إذن فالعهد الحاضر بتحرره من المتاجرة والمال وبالتالي من اليهودية الواقعية إنما يحرر نفسه أيضاً » [1] .

ويحدد ماركس جوهر اليهودية بأنه المتاجرة وشروطها المتاجرة التي تجعل المال إلهاً حقيقياً، لذلك فحل المسألة هو في المتاجرة وشروطها ،يقول ماركس: «فحين ينجح المجتمع في إلغاء الجوهر العملي لليهودية المتاجرة وشروطها، عندئذٍ يصبح وجود اليهودي مستحيلاً ، ذلك لأن ضميره لم تبق ثمة من حاجة إليه ، ذلك لأن الأساس الذاتي لليهودية الحاجة العملية قد اتخذت شكلاً إنسانياً ، وذلك لأن المنازعة بين الوجـــود الفردي والمحسوس للانسان ووجوده الاجتماعي قد ألغيت .

التحرر الاجتماعي لليهودي ، إنما هـــو تحرير المجتمـع من اليهودية [2] » .

٢ — لينين :

شكّل اليهود اتحاداً لعمالهم هو « الاتحـاد العام للعمال في ليتوانيا وبولونيا وروسيا» أو البوند الذي أنشىء عام(١٨٩٧)، وقد انضم في آذار من سنة (١٨٩٨) إلى حزب لينين المسمى (الحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي في روسيا) .

(١) المسألة اليهودية. كارل ماركس . ترجمة محمد عيتاني (ص ٥٤) .
(٢) المرجع السابق (ص ، ٦٣) .

لكن الاتحاد طالب الحزب في الموتمر الثاني باعتبار البونـد الممثل الوحيد للعمال اليهودفي روسيا وبقبول تقسيم التنظيم الحزبي حسب القوميات . فلما رفض طلبه ، انشق ، ثم عاد إليه بعد المؤتمر الرابع الذي عـــقد سنة ١٩٠٦ في استوكهولم . ثم اشترك البونـد في الموتمر الخامس الذي انعقد في لندن عام ١٩٠٧ .

وقد اشترك البوند في الثورة الشيوعية ، واستمرت تنظيماته قائمة حتى عام ١٩٢٠ حيث حل تنظيماته وقد كان الاختلاف حول مسألة القوميـــات مجالاً للصراع بين لينين والبوند فقد رفع البوند شعار الاستقـلال الذاتي القومي الثقافي بينما كان لينين يرفع شعار « حق الامم في تقرير مصيرها » .

وقد برّر للينين وجهة نظره بما يلي :

أولاً : « إن رفع هذا الشعار يقود إلى تقسيم الامم أو بالتالي الى تحطيم وحدة البروليتاريا فيها ، وتقريب البروليتاريا من كل قومية إلى برجوازيتها . وهذا يعني سيادة البرجوازية فكرياً [1] » .

ثانياً : «كان لينين يرى أن اختلاط الأمم وتمازجها خطوة

(١) ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية . دار التقـــدم . موسكو (ص ، ٨ ، ٣٧) .

تقدمية ، وأن النكوص عنه خطوة إلى الوراء [١] » .

ثالثاً — لم يكن لينين يرى أن الاستقلال الثقافي غير الإقليمي الذي يؤيده البوند، والاحزاب الاخرى مفيداً أو عملياً أو قابلاً للتطبيق [٢].

ثم ينتهي لينين إلى القول : « ان اليهود المقيمين في العالم المتمدن لا كما يقول يشكلون أمة ، فقد تمثلوا أكثر من غيرهم كاوتسكي وباربر . كذلك لا يشكل اليهود القاطنون في روسيا وغاليسيا أمة ، فليسوا في هذين البلدين مع الأسف (لا لذنب منهم) بل لذنب (البوريشكنتشيين) سوى فئة مغلقة معزولة . وهذا هو الرأي الثابت الذي يقول به أولئك الذين يعرفون التاريـــخ اليهودي يقين المعرفة ، ويأخذون بالحسبان الوقائـــع المذكورة أعلاه [٣] » .

٣ — ستالين :

كتب ستالين دراسته المشهورة « الماركسية والمسألة الوطنية » سنة ١٩١٢ التي يناقش فيها القضية مناقشة وافية . وقد ناقش ستالين البوند في هذه الدراسة كما ناقشهم لينين .

يعرف ستالين الأمة بقوله : « هي جامعة أناس ثابتة تألفت

---

(١) ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية . دار التقدم . موسكو (ص ١٩٠) .
(٢) » » » » » » » » » »
(٣) » » » » » ( ) ( ) ( ) ( ) ( )

تاريخياً نشأت على أساس اللغة والارض والحياة الاقتصادية والخصائص النفسية التي تتجلى في جامعة الثقافة [١] » .

وينفي هذا التعريف — كما هو واضح — إمكانية وجود أمة يهودية لعدم توافر كل الشروط الواردة فيه لليهود .

فاليهود ليسوا جامعة أناس ثابتة ولا تربطهم جامعـــة لغة وأرض وحياة اقتصـــادية وخصائص نفسية . إنهم أشتات من الناس يتكلمون لغات مختلفة ، ويقطنون بلداناً مختلفة ، ويختلفون في خصائصهم النفسية عن الأمم التي يعايشونها .

وكان طبيعياً أن يصل ستالين — انطلاقاً من هذا التعريف — إلى عدم اعتبار اليهود أمة .

٤ — ابراهام ليون :

أصدر « ابراهام ليون » دراسة تحت عنوان « المفهوم المادي للمسألة اليهودية » عام ١٩٤٢ . وتعتبر هذه الدراســـة بنظر الباحثين أفضل تطبيق للنظرية الماركسية بشأن المسألة اليهودية ، وبخاصة لكرّاس « المسألة اليهودية » الذي كتبه ماركس .

يعيد ابراهام ليون في دراسته تحجّر اليهود التاريخي الى وضعهم الاقتصادي التجاري ، ويعيد امتهـــانهم التجارة إلى

---

١ — الماركسية والمسألة الوطنية . دار التقدم . موسكو (ص ١١) .

طبيعة فلسطين الجبلية حيث الأرض الزراعية محدودة نسبياً .

ويوضح ان الشتات اليهودي قد جاء قبل السبي البابلي ، وذلك بحثاً عن الرزق ، ويؤكد أن مهنتهم التجارية هي التي جعلتهم يحافظون على كيانهم المستقل خلال كل العصور ، وجعلتهم — ايضاً — يرفضون الاندماج مع غيرهم .

ثم ينتقل إلى استعراض وضعهم في العصور الوسطى ، فيبيّن دورهم الربوي في بلدان أوروبا ، وتركزهم في أوروبا الشرقية ، ثم يتحدث عن نشوء الرأسمالية ، وعن تحرير الفلاحين في روسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وعن أثر ذلك على هجرة اليهود من روسيا وأوروبا الشرقية إلى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية .

ثم يتحدث عن المعضلة التي يعانيها اليهود وهي أنهم قد وقعوا بين سندان الإقطاعية ومطرقة الرأسمالية .

ثم يتحدث عن سبل حل المسألة اليهودية فيطرح الثورة البروليتارية طريقاً وحيداً .

التحليل والرد :

تتجه دراسة المسألة اليهودية عند ماركس وتطبيقها عند ليون إلى قلب المسألة ، ووضعها على رأسها عكس ما قصدا إليه .

وتؤدي الدراسة وتطبيقها إلى تبرئة الديانة اليهودية واليهود

من مسؤولية أفعالهم .

إن مكسيم رودنسون قد أوضح في بعض دراساته خطل الرأي الذي يعيد تحجر اليهود التاريخي ومحافظتهم على وضعهم إلى عملهم التجاري فقط ، فقد ذكر أن الفينيقيين قد خرجوا — مثل اليهود — للتجارة ، وانتشروا في مختلف أنحاء الأرض ، ولكنهم — بعد ذلك — ذابوا في أوساطهم التي تاجروا فيها .

إذن لا بد من وجود عوامل أخرى تعطينا تفسيراً مقنعاً لظاهرة استمرار الوجود اليهودي عبر التاريخ رغم التشتت .

أين سنجدها ؟

سنجدها — يقيناً — في الدين اليهودي .

وإلا فبماذا نفسر رفض اليهود للاندماج في مجتمعات أوروبا بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ؟

ليس هذا — فحسب — إنما برزت الحركة الصهيونية في نهاية القرن التاسع عشر رداً على دعوة الاندماج هذه ، فبماذا نفسر ظهور الحركة الصهيونية ؟ وبماذا نفسر نجاحها وتغلبها على غيرها من الدعوات في أوساط المجتمع اليهودي ؟

لقد أعطى الاتحاد السوفييتي مجالاً رحباً لليهود في دولته الاشتراكية ، ثم كوّن دولة مستقلة لهم في اقليم (بيروبدجان) الذي تبلغ مساحته (٣٥) ألف كيلومتر مربع في شرق روسيا

في ٧ أيار ١٩٣٤ .

فهل حررت هذه الدولة اليهود من يهوديتهم ؟

الجواب : لا . بدليل الصيحات المرتفعة التي تطالب الاتحاد السوفييتي ـ حالياً ـ بفتح باب الهجرة أمام اليهود للمجيء إلى أرض الميعاد ، وبدليل الاستجابة التي تجدها هذه الصيحات عند اليهود وتدفق أعدادهم على إسرائيل .

أين سنجد تفسيراً لهذه الظواهر : استمرار الوجود اليهودي بشكل شاذ عبر التاريخ ، رفض الاندماج في المجتمع الأوروبي ، بروز الحركة الصهيونية واستجابة اليهود لها ، فشل الدولة اليهودية في الاتحاد السوفييتي ؟

أين سنجد تفسيراً لهذه الظواهر ؟

سنجد التفسير الحقيقي والمقنع في الديانة اليهودية وبالذات في التوراة التي تخاطب اليهود وتقول لهم :

« ولكن إذا رجعتم ولصقتم ببقية الشعوب أولئك الباقين معكم وصاهرتموهم ودخلتم إليهم وهم إليكم . فاعلموا يقيناً أن الرب إلهكم لا يعود يطرد أولئك الشعوب من أمامكم فيكونوا لكم فخاً وشركاً وسوطاً على جوانبكم وشوكاً في أعينكم حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة التي أعطاكم إياها الرب إلهكم »[1] .

---

١ ـ يشوع إصحاح ٢٣ : ١٢ ، ١٣ .

« وإن سمعت سمعاً لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التي أنا أوصيك بهـــا اليوم يجعلك الرب إلهك مستعلياً على جميع قبائل الأرض »[1] .

« لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم . بنتك لا تعط لابنه وبنته لا تؤخذ لابنك . لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك . إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب . بل من محبـة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر »[2] . « ولكن الرب إنما التصق بآبائك ليحبهم فاختار من بعدهم نسلهم الذى هوأنتم فوق جميع الشعوب كما في هذا اليوم »[3] .

إذن سنجد التفسير الحقيقي لاستمرار المسألة اليهودية في مفهوم (شعب الله المختار) .

الوقائع العملية في موقف الاتحاد السوفييتي :

اصطدم لينين مع حزب البوند ـ كما رأينا ـ حول التميز

---

١ ـ تثنية إصحاح (٢٨ : ١).
٢ ـ تثنية إصحاح ٧ : ٢ ـ ٨ .
٣ ـ تثنية إصحاح ١٠ ـ ١٥ .

الثقافي ، فأصر على عدم تميزهم الثقافي .

ولكن بعد أن قام الحكم الشيوعي في روسيا أقر تميزهم ، وأصدر عدداً من القوانين التي منحتهم مثل هذا الحق منها : تعيين مفوض خاص بهم . وكان (ديانشتاين) عام ١٩١٨ أول مفوض يحتل هذه المفوضية .

فبماذا نفسر هذا التناقض ؟

لم يعتبرستالين اليهود أمة — كما رأينا — في دراسته للمسألة الوطنية ، ومع ذلك فقد منحهم دولة في إقليم (بيروبدجان) في شرقي روسيا عام ١٩٣٤ .

ليس هذا فحسب ، بل زود ستالين اليهود بالسلاح التشيكي الذي حاربوا فيه العرب عام ١٩٤٨ .

ووقف المندوب السوفييتي في الأمم المتحدة خاصة والمندوبون الشيوعيون الآخرون عامة إلى جانب قيام دولة اسرائيل في فلسطين ، وكانوا أشدّ تطرفاً في موقفهم ذاك من مندوبي بعض الدول الغربية [1] .

اعترف ستالين بالدولة اليهودية في اسرائيل بعد دقائق من إعلان قيامها عام ١٩٤٨ .

فبماذا نفسرّ هذا التناقض بين آراء ستالين التي تقول إن

١ — (موسكو واسرائيل) لعمر حليق يشرح هذه المواقف ويذكر تفصيلاتها حسب وثائق الأمم المتحدة .

اليهود ليسوا أمة ومواقفه العملية التي تصرفت إزاء اليهود على أنهم أمة ودولة ؟

لا نريد أن نذهب بعيداً في تفسير التناقض بين آراء لينين وستالين وبين مواقفهما ، فهناك مجال كبير للتأويل ، ولكننا يمكن أن نسجل حقيقة بسيطة واضحة هي : أن الآراء الماركسية بصدد المسألة اليهودية بقيت نظرية ، وعلى العكس فإن تاريخ تعامل الاتحاد السوفييتي كله مع المسأله اليهودية تمرير لمصالح اليهودية وخدمة لها .

الخلاصة :

وقفت الماركسية نظرياً ضد الصهيونية ، لكن الاتحاد السوفييتي وقف عملياً إلى جانب الصهيونية ودولتها .

كان هذا في الماضي ، ويمكن أن يكون في المستقبل .

الدعوة الاسلامية والشخصية الحضارية التاريخية :

لقد فرز الصراع بين الشخصية الحضارية التاريخية وقوى التغريب الدعوة القومية العربية ، وحاولت أن تقود هذه الدعوة القومية العربية بعد نكبة فلسطين في كل من بلاد الشام ومصر الشخصية الحضارية التاريخية ، ولكنها فشلت بعد ذلك ، وخاصة حين ملأت محتواها بالاشتراكية العلمية .

فلم يبقَ الآن في ساحة الصراع إلا الدعوه الإسلامية فهي

ـ بالأصل ـ الممثلة الحقيقية للشخصية الحضارية التاريخيـــة ، وهي المعبرة الاساسية عنها، وهي التي يمكن أن تقودها وتطورها.

إن أولى واجبات الدعوة الإسلامية ـ في هذه المرحلة ـ أن تولـد المجتمع العقائدي وإنسانه ، أن تولـد ما فشل غيرها في توليده ، لان هذا التوليد هو الذي ينهي عذابات الامـة ، وتخبطها ، وضياعها ، ويضعها على الاقل ـ في طريق البناء الصحيح ، وخاصة إن الشخصية الحضارية التاريخية مهيأة لمثل هذه الولادة .

إن الدعوة الاسلامية في سباق مع قوى الاوربة على اكتساب الشخصية الحضارية التاريخية فأيها أفلح في تحقيق هدفه فقد حقق انتصاراً عظيماً .

الدعوة الاسلاميه تريد أن تولد المجتمع العقائدي وانسانه من رحم هذه الشخصية الحضارية التاريخية ، في حـــين أن قوى الاوربة تريد أن تمزق هذا الرحم وتفتته حتى تقطع الطريق على الدعوة الإسلامية .

هذا ما يجعلنا ندرك أهمية عامل الزمن وفداحة إضاعة الوقت.

إن استلهام الإسلام أمر طبيعي في دورة الحضارات كما حدث في استلهام الحضارة الاوروبية للتراث اليوناني ، وقد تحدث الدكتور قسطنطين زريق في كتاب (معركة الحضارة) عن قانون هذه الإمكانية فقال : « ان احدى طرق التواصل

الحضاري قد تكون عن طريق استلهام انبعاث حضاري لحضارة ماضية » .

يجب أن لا يشغل الدعوة الإسلامية شاغل عن توليد المجتمع العقائدي وإنسانه ، **لذلك يجب ان لاتصرف أي جهد في أهداف جانبية** مثل : التضامن الإسلامي ، اللغة العربية ، الخ ...

إن الدولة الإسلامية هي الاداة التي يمكن أن تحدث منعطفاً في تاريخ العالم ، لذلك وجب أن تكون هدفاً يسعى إليه المجتمع العقائدي وإنسانه .

إن الحضارة الأوروبية قد استنفدت أغراضها واهترأت ، وهي تحيا أيامها الأخيرة بإجماع الفلاسفة والمؤرخين من : توينبي إلى اشبنجلر إلى راسل إلى الكسيس كاريـل الخ ...

ان الإنسانية تحتاج الى عالم جديد وليس أوروبا ثانية كما عبر (فرانز فانون) عن ذلك في كتابه (معذبو الأرض) .

مجتمع جديد يتجاوز شرور أوروبا وآثامها .

مجتمع جديد يتجاوز ماديتها العفنة .

مجتمع جديد يتجاوز أزمتها الحاضرة .

إن الإنسانية كلها تنتظر الجديد ، وتترقبه ، وتتلهف اليه .

الدعوة الإسلامية ـ وحدها ـ تملك الدواء .

الدعوة الإسلامية يمكنها ـ وحدها ـ أن تعزز ما تحتاجه الانسانية .

فهل تمضي الدعوة الاسلامية في توليد هذا المجتمع وإنسانه ؟

وهل تكون النكسة هي المخاض الذي يبعثها الى عالم الحياة ؟

الصفحة	الموضوع
١ – ٢٠	المقدمة . كيف وقعت النكسة . دروس في النكسة
٢٧	كيف جرى القتال على الجبهات الثلاث
٣٠ – ٣١	الاستكشاف الجوي الاسرائيلي – الضربة الجوية – كيف نفذت العمليات
٣٣ – ٣٧	العمليات العسكرية في سيناء
٣٨ – ٣٩	العمليات العسكرية على الجبهة الاردنية
٤٠ – ٣١	العمليات العسكرية على الجبهة السورية
٤٦	لماذا كانت النكسة – ما هو سبب النكسة – لماذا كنا ألعوبة
٤٩ – ٥٦	مجتمع العرب (١ – العقيدة الديمقراطية ٢ – العقيدة القومية)
٥٩ – ٦٥	الشخصية الحضارية التاريخية وآلية صراعها
٦٧ – ٨٠	جذور شخصيتنا الحضارية التاريخية (التوحيد
٩١ – ١١٠	الشخصية الحضارية التاريخية في كتب النكسة ١ – أعمدة النكسة ٢ – المسلمون والحرب الرابعة ٣ – النقد الذاتي بعد الهزيمة ٤ – من النكسة إلى الثورة)
١١٢ – ١٥٥	مواقف أمريكا وروسيا من الشخصية الحضارية التاريخية
١٥٧	الدعوة الاسلامية والشخصية الحضارية